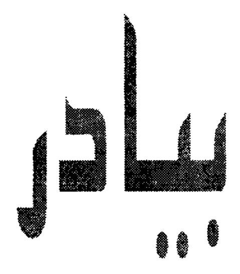




بيادر

ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي
العدد التاسع عشر . رمضان ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م



نادي أبها الأدبي - أبها - ص .ب ٤٧٨ - تليفون : ٠٧٢٢٤٤٢١٠. / ٠٧٢٢٦٣٥٩٧.
فاكس : ٠٧٢٢٦٢١٦٥. - المملكة العربية السعودية
PUBLISHEDBY ABHA LITERARY CLUB P.O Box : 478 Tel : 072244210 \ 072263597
Fax : 072262165 ABHA . SAUDI ARABIA

رقم الإيداع: ١٤/٠٠٥٣
ردمــك : ١٣١٩ - ٣٥٠ ISSN

محتويات العدد التاسع عشر من ملف النادي ببيادر (١٩)

إشـــارات

المشرف العام

* يُفاخر الوطن السعودي بالنهضة النسوية التي أفرزت الطبيبات والمعلمات والإعلاميات والمربيات والمرضات والمتخصصات في الخدمات الاجتماعية والأديبات والشاعرات والباحثات والعاملات بإخلاص في الجمعيات التعاونية والإنسانية ولم يكن هذا إلا تأكيداً وتطويراً لدور المرأة السعودية البارز منذ قديم الزمان .

* يخلو هذا العدد (مع الأسف) من العطاء الأدبي (النسوي) واعدّها نقطة ضعف ، آمل أن تتلافاها لجنة التحرير مستقبلاً .. لأن أدب المرأة السعودية يعيش أسعد أيامه في هذه الفترة ومن واجب هذه الفصلية أن تحتفي به كما هي عادتها فيما سبق من أعداد .

* تدور حوارات في الصحافة والجهات المعنية حول الحاجة إلى وجود أندية أدبية نسائية.. واختلفت الآراء بين مؤيد ومعارض.

* ومع تقديرنا لوجهات النظر ومسوّغاتها حول هذا الموضوع ولكن الواقع الذي لابد أن يفرض نفسه .. هو ضرورة فتح الأندية النسوية بشروطها ومواصفاتها التي تتواءم مع عقيدتنا السمحة وأعراف المجتمع السعودي ويُترك ذلك لحكمة وعناية مقام الرئاسة العامة لرعاية الشباب وسمو الأمير الجليل (فيصل بن فهد بن عبد العزيز) .

* المرأة السعودية منذ أن كانت في الجاهلية متميزة بالشخصية القوية والمشاركة الجادة للرجل في أمور الحياة والحفاظ على الشرف - ومن أقوالها المشهورة (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) ! .(وهل تزني الحرة ؟) - ثم زادها الإسلام شرفاً وصوناً وعفافاً وظهرت على مر السنين نماذج رفيعة من الفضليات في مجالات متعددة .

* المرأة نصف المجتمع ... وتشكل مع الرجل كياناً واحداً هما جناحاه الأيمن والأيسر ومحاولة تهميشها وتجاهلها والتقليل من شأنها خطر كبير .. وخطأ فادح. نصّ الإسلام على أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وأعطى المرأة نصيبها من الرعاية كاملاً غير منقوص وخاطبها في كثير من الآيات بل خصها بسورة كاملة من القرآن الحكيم .

* النساء شقائق الرجال .. ورياحين الحياة .. وهن الأمهات والأخوات والبنات ولا يتجاهل هذه الحقائق إلا مكابر مختل الشخصية .


الافتتاحية

« الافتتاحية »

رئيس التحرير
د / غيثان بن علي بن جريس

الحمدلله وحده ، والصلاة والسلام على نبي الهدى ، أما بعد ...

فهذا العدد التاسع عشر من ملف « بيادر » ، والقضية التي سوف نطرحها في هذا العدد تدور حول السياحة في المملكة العربية السعودية ، وخاصة منطقة عسير [1] ، والحديث عن السياحة موضوع كبير ومتشعب ، ولكن ما نرغب مناقشته في هذا المكان يتركز على نقطتين هما :-

أولاً : بعض مميزات وايجابيات السياحة الداخلية :

لقد تميزت بعض أجزاء في المملكة العربية السعودية بأماكن سياحية جميلة ، وبطبيعة ساحرة خلاّبة ، علاوة على تميزها بايجابيات أخرى للنواحي السياحية ، ومن أهم تلك الايجابيات مايلي : -

١ - إن تمسك المملكة العربية السعودية بأحكام الشريعة الإسلامية وتطبيقها في نظامها وحياتها الإجتماعية يجعل من مجال السياحة بها نموذجاً فريداً في العالم لسياحة متميزة للأسباب الآتية :

أ - نعمة الأمن والأمان الذي يعيشه كل فرد يجعل من هذا البلد بلد أمن ورخاء واستقرار تطبق فيه أحكام الشريعة وهذا ما لايتحقق في أي بلد أخر .

ب -إن التعاليم والأنظمة تمنع منعاً باتاً على أي مستوى تداول أو تعاطي أي نوع من المخدرات أو المسكرات مما يجعل أماكن السياحة في داخل البلاد تكاد تكون فريدة في العالم لعدم توفر أي نوع من المسكرات بها ، وهذه تعطي السائح الأمان على نفسه وأهله وأطفاله .

جـ -إن التعاليم والأنظمة تمنع منعاً باتاً على أي مستوى السفور والاختلاط المحرم وبدون محرم سواء في الحدائق العامة أو المنتزهات أو خلال الرحلات البرية وذلك من خلال مراقبة الجهات الأمنية وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) لمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع انظر الفصل السابع من كتابنا الموسوم بـ " أبها حاضرة عسير... دراسة وثائقية"

د - إن مدن ألعاب الأطفال محددة المواعيد للسيدات وللرجال بالتناوب مما يعطي الحرية التامة للعائلات ويبعد الأسر عن المضايقات المقصودة وغير المقصودة.

هـ - إن معظم المواقع السياحية تحوي المساجد وأماكن العبادة وهذه الظاهرة لاتوجد إلا بالمملكة فقط .

٢ - إن من مزايا السياحة الداخلية هي قلة الإنفاق خلال السياحة لأي منطقة من مناطق المملكة مقارنة بالسفر إلى الخارج وهذا من أهم الجوانب الاقتصادية .

٣ - كون السائح في داخل المملكة يبعده عن مشاكل اللغة وعقبات الترجمة فهو يعيش في بيئته ويتكلم لغته .

٤ - تمتع المواطن والمقيم بحرية الحركة والتنقل في جميع أرجاء البلاد دون قيود تحد من ترحاله أو زيارته إلى أي منطقة من المناطق ذات الطابع السياحي .

٥ - الحرية الاقتصادية التي تسمح لأي مواطن بممارسة تنمية أي مجال يخدم السياحة دون قيود أو ضرائب مالية وهذا يجعل المجال رحباً لتنشيط الحركة السياحية .

٦ - ما تقدمه الدولة من برامج للإقتراض المصرفي من خلال بنك التسليف السعودي يعطي فرصة للاستثمار للقطاع الخاص ، إذا كانت هناك مشاريع مقدمة تخدم هذا المجال ، إضافة إلى تقديم منح الأراضي لمن يرغب بإقامة مشاريع سياحية على مستوى المملكة وبأفضل المواقع .

٧ - إن الدولة تشجع قيام الشركات الاستثمارية المساهمة كالشركات السعودية للفنادق والسياحة وغيرها مما يخدم مجالات السياحة المختلفة وتقدم لها كل التسهيلات على جميع المستويات .

٨ - فتح مجال العمل والتدريب أمام فئة كبيرة من أبناء المجتمع من خلال تنشيط الحركة السياحية الداخلية ، مما يفتح أفاقاً واسعة أمام خريجي الثانويات والجامعات ولو لفترات متقطعة يمكن خلالها تنمية المهارات المختلفة ، وأخذ التدريبات اللازمة، إضافة إلى الكسب المادي والقضاء على وقت الفراغ لدى الشباب .

٩ - تنوع مصادر الدخل القومي هدف تسعى له كل دولة ، ولعل من مزايا السياحة الداخلية إعطاء مجال لتنويع مصادر الدخل وتنشيط الحركة التجارية والنقل وتطوير البرامج المختلفة بما يعود على الوطن والمواطن بالفائدة في ضوء سياسة

التنويع لمصادر الدخل العام سواء من خلال مرافق الدولة مثل الهاتف ، الكهرباء ، البريد ، المواصلات ، أو مجال استثمارات القطاع الخاص على جميع المستويات الاقتصادية .

ثانيا : بعض التوصيات حول التنمية السياحية في المملكة وخاصة جنوبي البلاد السعودية

لعله من المفيد طرح بعض الملاحظات لجوانب عامة تختص بأفكار يمكن دراستها وتطويرها لخدمة المجال السياحي بما يخدم مصلحة الوطن والمواطن :

١ - إعداد نشرات علمية مركزة عن المناطق السياحية ، وكتيبات عن السياحة مرفقة بخرائط تفصيلية توضح عليها المسافات والأبعاد والزمن اللازم للتنقل بين المدن والقرى ، وتباع بأسعار رمزية ، وتتوفر بالمطارات والأماكن السياحية بالمكتبات العامة وبالمدارس وفي محطات الوقود وغيرها ، مع ملاحظة عمل مسح شامل لكل ما له علاقة بالجوانب السياحية وما يستخدم في المنطقة وإضافته سنوياً.

٢ - إقامة أندية خاصة للمعاقين ، كبار السن والمتقاعدين ومن بدور النقاهة تكون ذات طابع يتفق مع وضعهم لقضاء بعض الوقت وبما يعود عليهم بالفائدة ، شريطة أن يكون على أسس علمية تراعى عامل الإعاقة والسن وغيرها .

٣ - تدعيم برامج الجمعيات الخيرية النسائية من خلال المحاضرات والندوات والمعارض وغيرها مما يكون له مردود جيد يمكن قضاء وقت الفراغ به .

٤ - الاهتمام بالمجالس الأدبية والفكرية والأشرطة النافعة من خلال المحاضرات واللقاءات وتطوير فكرة مجالس رجال العلم بكل منطقة لتكون منتديات يمكن الاستفادة منها . وزيادة المساهمة المحلية في المؤتمرات العامة مثل الجنادرية .

٥ - إقامة القاعات العامة للمحاضرات والندوات والمناسبات المختلفة وخاصة في فصل الصيف .

٦ - المحافظة على الحياة الفطرية بأنواعها المختلفة وتحديد مناطقها ومجالاتها مع تحديد مواعيد تنظم من خلالها عملية الصيد والابحار وغيرها من الأنشطة ، ولاشك أن الهيئة الوطنية للحياة الفطرية تعتبر نواة جيدة لهذا الموضوع .

٧ - إقامة حديقة ضخمة للحيوانات يتناسب حجمها وطبيعتها ومحتوياتها مع طبيعة كل منطقة ، وأهميتها.

٨ - المحافظة على الأنماط المعمارية كشعار لكل منطقة بالمملكة مع الاهتمام بالمتاحف من خلال الأنماط القديمة كقصر شدا وقرية المفتاحة بأبها وغيرها .

٩ - المحافظة على البيئة سواء البرية أو البحرية بكل ماتتطلبه من عدم رمي النفايات والقمائم والمواد الصلبة والفضلات من المباني على السواحل أو في مداخل المدن أو ما يمكن أن يحدث تلوثاً بيئياً وما يمكن أن يكون له تأثير على مناطق الجذب السياحي بأنواعها وخاصة بالقرى أو المياه الجوفية أو تلوث الهواء .

١١- يفترض عند قيام أي مشروع سياحي عدم الازدواجية وتقديم البدائل الأخرى من وسائل الترفيه من حيث اختلاف الأنشطة والبعد عن التكرار حتى يكون هناك مجال أمام السائح لعدد من الخيارات ، مع ملاحظة اختلاف متطلبات السياحة من المدينة إلى القرية حسب التركيبة السكانية والعادات الاجتماعية .

١٢ - كما أن الإعلام جهاز هام على جميع المستويات ، فهو مجال تعليمي وتثقيفي وتوجيهي ويمكن استغلاله في مجال السياحة من خلال :-

أ - برامج التلفزيون والإذاعة والصحافة ، يمكن عمل برامج خاصة عن السياحة وعن دورها لتعريف المواطن بجميع أرجاء الوطن ومعالمه وتراثه وعاداته وتقاليده مع ابراز جوانب النهضة في جميع المجالات .

ب - توجيه الشباب إلى قضاء وقت الفراغ بما يعود عليهم بالنفع والابتعاد عن اللهو والمخدرات والأعمال التي لاتتفق وديننا الإسلامي الحنيف ، مع إيضاح سبل استغلال الوقت بما يعود عليهم بالخير وزيارة مناطق المملكة المختلفة من خلال الجمعيات أو المعسكرات أو المدارس والجامعات .

جـ - عمل الدعاية اللازمة عن أهم المناطق السياحية والبرامج التي تعد من قبل الجهات المعنية بها مثل المحاضرات والندوات والمسابقات وغيرها وكذلك الاهتمام بالدعاية الخاصة للتخفيضات السياحية من حيث السكن أو التنقل أو المعسكرات العامة .

١٣ - وتمثل الرئاسة العامة للشباب جانباً هاماً في مجال السياحة حيث أنها تعنى بالجوانب الرياضية بكل أنواعها وكذلك الأندية الأدبية والثقافية والجمعيات المختلفة ويمكن أن تسهم من خلال :

أ - الأندية الأدبية والثقافية - وهي مراكز هامة لجذب الشباب وغيرهم للمحاضرات والندوات ومعارض الكتب وغيرها من الأنشطة وهي في الغالب متاحة لجميع فئات المجتمع . وعليها دور في تقديم جانب هام للمواطن من حيث مجالات الإبداع والتوعية والمحاضرات والأمسيات في مختلف المواسم وفي جميع مناطق المملكة . وبلا شك فيمكن أن تكون متنفساً جيداً إذا أحسنت برامجها والأهداف التي تخدمها .

ب - الأندية الرياضية - والواقع أن الدولة صرفت عليها مبالغ طائلة وأقامت العشرات من المدن الرياضية والترفيهية في معظم مناطق المملكة . ومع هذا فهي تشكل حوالي ٨٠٪ من نشاط الشباب - ويمكن أن تخدم بطريقة أفضل إذا استغلت الرياضة والثقافة والتربية معاً لهدف واحد وليس للرياضة فقط . ومع ذلك فإن معظم الشباب خاصة من هواة الرياضة يتجهون إلى الأندية الرياضية كمتنفس لطاقاتهم وإشباع رغباتهم الرياضية .

جـ - إن الاهتمام بالجمعيات المختلفة مثل جمعية هواة الطوابع أو الخط أو الفن التشكيلي وغيره أمور هامة تعطي فرصاً لذوي الهوايات المختلفة ويمكن تنميتها بما يعود بالنفع وعدم تضييع وقت الشباب .

د - لعل وجود بيوت الشباب في معظم مناطق المملكة إسهام جيد من رئاسة رعاية الشباب لخدمة الشباب وتخفيض أجور السكن بشكل رمزي جداً ، وياحبذا لو كانت على مستوى أوسع وفي جميع المواقع السياحية بالمملكة بجميع مجالات وأنشطة السياحة حتى تكون عامل جذب للشباب ويتم الإشراف عليها من مختصين بما يتفق والقواعد والأنظمة في هذا المجال .

هـ - يمكن للرئاسة الإشراف على المتاحف والمهرجانات التراثية ووضع ضوابط لها وعمل الدعاية اللازمة لتكون في متناول الجميع . ولعل مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة الذي يشرف عليه الحرس الوطني والتغطية الإعلامية بكل وسائلها التي تسبق افتتاحه وأثناء ذلك خير شاهد على دور الدعاية والإعلام في إنجاحه .

١٤ - ولا شك أن للجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى دوراً هاماً وبارزاً في دعم وتنشيط الحركة السياحية بالمملكة وذلك من خلال البرامج والأنشطة ونظام الرحلات

المدرسية والمعسكرات الشبابية والكشافة والتوعية وغيرها ويمكن ملاحظة ذلك من خلال :

أ - المناهج الدراسية بالتعليم العام أو الجامعي وتحديد المناطق السياحية بالمملكة والتركيز عليها وتوضيح الفائدة من السياحة الداخلية للشباب ودعم هذه البرامج التي تحافظ على قيم وعادات المجتمع. وكذلك إيضاح هذه البرامج من خلال عرض الصور والشرائح والأفلام والمحاضرات وعمل الزيارات الميدانية للأماكن القريبة من كل منطقة تعليمية وبرامج الصيف المختلفة .

ب - يمكن أن يكون هناك بالجامعات تخصصات علمية تخدم مجال وفن السياحة وتدرس فيه أنظمة وعادات وتقاليد المجتمع والقيم الإسلامية حتى تتوفر لدينا كوادر بشرية تخدم السياحة بموجب الأهداف المرسومة لها ، وبما يتفق مع قيمنا وعاداتنا ، ومن الممكن التفكير من الآن في إنشاء كلية متخصصة بالسياحة والآثار.

جـ - يمكن عمل المسابقات الثقافية والأنشطة الترفيهية ومعسكرات الكشافة والجمعيات المختلفة واللجان وغيرها خارج مكان المنطقة التعليمية أو الجامعات في مناطق أخرى من المملكة ، مما يكسب الطلاب خبرة وارتباطاً وتعرفاً على هذه المناطق من الوطن ، ويجب أن يكون هناك تنسيقاً مركزاً بين هذه القطاعات التعليمية كلاً في منطقته لابراز ما يمكن الاستفادة منه خلال هذه البرامج .

د - وجود المكتبات والوسائل السمعية والبصرية والأفلام والخرائط الجغرافية عن مناطق المملكة المختلفة مما يساعد على إيجاد توعية شاملة لإبراز الأماكن السياحية والآثار المختلفة .

هـ - محاولة الجامعات والقطاعات التعليمية الأخرى التنسيق مع الغرف والجهات المشرفة على برامج السياحة لتشغيل الشباب خلال الصيف بهذه المراكز ولو بأجور رمزية لقاء استفادتهم وتنمية مهاراتهم وكسبهم معرفة مناطق المملكة المختلفة .

و - تكلف كل منطقة تعليمية بعمل مسح ميداني كل عام لكل المناطق السياحية والأثرية الهامة وتسجيل العادات والتقاليد وما يمكن أن يكون له فائدة

وترصد من خلال التسجيلات بالأجهزة السمعية والبصرية والشرائح ويتم تبادلها بين المناطق التعليمية مع وجود جهاز تنسيق لهذا البرنامج .

١٥ - ولاشك أن الطيران شريان هام في مجال النقل ولذا يمكن الاهتمام بما يخدم مجال السياحة من حيث :

أ - توفير عدد من الرحلات إلى المناطق السياحية المختلفة بالمملكة بما يتناسب وحجم الحركة إلى تلك الجهة والمرونة في تسيير بعض الرحلات الإضافية.

ب - عمل التخفيضات في أسعار التذاكر وخاصة في الأجازات مثل إجازة الربيع وإجازة عيد الفطر وإجازة الصيف إلى المناطق المختلفة تشجيعاً للتنقل بقصد التعرف على مناطق المملكة المختلفة .

جـ - تكليف مكاتب السياحة بفتح فروع لها بجميع المواقع السياحية المختلفة وعمل الحجوزات والتنسيق في استئجار السيارات بأنواعها المختلفة من خلال مكاتب السياحة .

د - يمكن عمل برنامج للطيران من خلال استئجار طائرات مروحية يستطيع السائح أو مجموعة من السواح استئجارها لزيارة بعض المعالم الأثرية أو المناطق السياحية ، وهذه البرامج موجودة في معظم الأقطار التي تهتم بالسياحة .

١٦ - وتسهم وزارة الزراعة والمياه بدور بارز في الاهتمام بمجالات السياحة من حيث الاهتمام بالغابات والأحراش ونظام التشجير والمحافظة عليها وصيانتها ، ولقد قامت الوزارة بمشاريع هامة من حيث الاهتمام بالمتنزهات الوطنية ومع ذلك فإن عليها أعباء من أهمها:

أ - الاهتمام بإبراز المواقع ذات الغابات في جميع المواقع مع بذل الجهد مع الجهات المعنية بفتح الطرق لخدمة مجال السياحة وكذلك لضمان برنامج السلامة من الحرائق وغيرها.

ب - الاهتمام بتنظيم الغابات من حيث عمل التقليمات اللازمة والاستفادة من النفايات من الغابات في طرق تخدم مجالات أخرى.

جـ - تطوير برامج التشجير الاصطناعي مثلما عمل في منطقة الباحة مع ملاحظة الأسس العلمية والتنويع في نماذج مختلفة من موقع إلى آخر حتى يكون مجالاً للجذب السياحي .

د - محاولة توزيع الشتلات الزراعية وخاصة ذات النمط التي تتلائم مع كل بيئة في المنتزهات العامة والحدائق وعلى الطرق الرئيسية .

هـ - محاولة تطوير برامج مراكز الأبحاث الزراعية في المناطق المختلفة بما يخدم البيئة السعودية وبما يتلائم مع الظروف المناخية والطبيعية ، ويمكن من خلال ذلك تشجيع السياحة الداخلية خاصة في فصل الصيف بالمناطق ذات المنتجات المحلية مثل الرمان والعنب والخوخ وغيرها بالمنطقة الجنوبية .

و - استغلال مواقع السدود وعمل استراحات وجلسات منظمة يمكن أن تكون عامل جذب سياحي وخاصة أن هناك أعداد كبيرة من السدود بالمملكة .

١٧ - وتضطلع البلديات بدور يعتبر رئيسي وهام جداً في مجال السياحة . ولاشك أن هناك جهود مبذولة وملموسة ولكن مع ذلك يمكن ملاحظة بعض الأمور التي يجب أن تكون موضع اهتمام هذا القطاع لدعم البرامج السياحية والاهتمام بجمال المدن وغيرها ومن أهم القضايا :

أ - البلديات عليها دور هام جداً في إقامة الحدائق والمتنزهات العامة على أسس علمية ومدروسة حسب الكثافة السكانية وبكل الأحياء وعلى مختلف المستويات. ويتم إعداد التصور عنها من خلال إجراء مسح ميداني للأحياء القديمة وملاحظة واقع الأحياء الجديدة في تصور يكون متكامل الأسس والأبعاد.

ب - العناية بجميع مرافق النظافة العامة سواء بالمتنزهات والحدائق وعمل التنسيقات اللازمة أو النظافة للأحياء والاهتمام بري الحدائق بطرق علمية سليمة .

جـ - إقامة الحدائق الخاصة بالزهور والورود ذات الطابع النفسي لكبار السن مع الاهتمام بها ، وملاحظة ذلك بجميع المدن وبالأحياء ذات الطابع الجمالي مع وجود كل الخدمات بهذه الحدائق .

د - الإهتمام بإنشاء مساجد ولو بشكل مبسط في جميع المتنزهات العامة وكذلك عمل دورات المياه التي تجعل هناك مجالاً للعبادة والتفسح أو النزهة .

هـ - تهيئة المواقف بجوار المتنزهات العامة والحدائق وكذلك حول الجوامع الكبيرة مع وجود ميادين عامة لمناسبات الأعياد والمهرجانات وغيرها.

و - وجود الأسواق المتنقلة أمر هام في جميع المناطق السياحية بالمدن أو بالأرياف ولذا يجب الاهتمام بهذا الجانب وبأجور رمزية لتوفير الأشياء الأساسية للسائح وكذلك بعض المناظر الطبيعية والبطاقات السياحية والشرائح وغيرها.

ز - إقامة المسابح الخاصة للأطفال في المتنزهات العامة وتحت إشراف ورقابة من البلديات أو تسليمها للقطاع الخاص .

ح - وجود المسميات على الشوارع والميادين والمتنزهات والحدائق العامة بالمدن والأرياف مع الاهتمام بوجود خرائط جغرافية دقيقة جداً لهذه المواقع ووجود مكاتب ومراكز معلومات بمداخل المدن والأرياف ذات الطابع السياحي يتوفر بها جميع المعلومات التي تهم السائح .

ط - توفير الميادين العامة لسباق الخيل وغيرها من الأنشطة التي تسهم في التنشيط السياحي.

ي - وضع ضوابط ونظم للشقق المفروشة ونظام النظافة والرقابة الشديدة مع تحديد الأسعار لهذه الشقق والعمارات حسب الوضع السائد بكل منطقة.

ك - محافظة البلديات بالمدن والقرى على النمط العمراني القديم والشوارع القديمة والميادين التي تحمل طابع الماضي وضرورة وجودها بكل مدينة وقرية حتى ولو بشكل مبسط .

ل - الاهتمام بوسائل النقل العامة (الداخلية) التي تنقل السياح إلى المناطق السياحية . كذلك الاهتمام بوسائل النقل العامة داخل المدينة حتى نحافظ على المدينة من كل عمل قد يسيء إليها.

١٨ - من المؤسف أن القطاع الخاص في المملكة لم يشارك كما يجب في مجال التنمية السياحية . ولعله من المفترض أن يكون هناك شبه إلزام لجميع الشركات والمؤسسات التي تعمل في هذا المجال . ويمكن للقطاع الخاص الإسهام من حيث :

أ - تبني فكرة إنشاء فنادق وموتيلات ونظام شقق مفروشة في جميع مناطق المملكة وعلى الطرق الرئيسية مثلما هو موجود في معظم بلاد العالم مع إعطاء الإمتياز لشركات تخدم هذا المجال . ويجب ملاحظة جميع فئات المجتمع ومستوياتهم المادية ، مع دراسة مستفيضة لهذا الموضوع.

ب - تطوير فكرة القرى السياحية التقليدية واستلام القطاع الخاص لها وعمل جميع المجالات ووسائل النقل لخدمة هذا المجال .

جـ - تبني فكرة قيام أسواق مركزية وشعبية على جميع المستويات بجميع مناطق المملكة مما يكسب كل منطقة حركة تجارية وتشجيع صغار التجار للاستثمار والبقاء بمناطقهم ، مع إحياء فكرة الأسواق الأسبوعية من خلال الغرف التجارية وخاصة بالمنطقة الجنوبية فهي ذات طابع ونكهة خاصة .

د - يمكن قيام القطاع الخاص باستئجار بعض المرافق تحت مراقبة ومتابعة من الجهة الحكومية المشرفة لتبني إدارة المتنزهات والحدائق وغيرها من المرافق التي تخدم مجالات السياحة.

هـ - إلزام القطاع الخاص في كل منطقة أن يقوم بدور فعال في التنمية السياحية للمنطقة من خلال برامج معينة أو أسواق أو متنزهات ، وأي مجال يخدم النواحي التقليدية بالمنطقة والمحافظة على العادات والتقاليد والتراث لكي تكون ناحية مميزة لهذه المنطقة عن غيرها من مناطق المملكة وليكن على غرار الجنادرية بالرياض مع تبادل الخبرات بين مناطق المملكة المختلفة .

١٩ - وقطاع المواصلات والاتصالات يلعب دوراً بارزاً جداً في خدمة النواحي السياحية ولعل ذلك يتم من خلال :

أ - الاهتمام بمشاريع الطرق إلى جميع المواقع السياحية بالأرياف والقرى وعلى قمم الجبال وإلى الشواطئ الجميلة بما يخدم هذا الجانب .

ب - الاهتمام بمجالات وسائل النقل المختلفة من نقل جماعي أو نظام للرحلات البحرية بالتنسيق مع الجهات الأمنية.

جـ - إيصال خدمات الهاتف والبريد إلى المواقع السياحية يجعل السائح في مجال تتوفر له كل الفرص لمتابعة أوضاعه أو مجال عمله من خلال الاتصالات .

د - قيام وزارة المواصلات بالإشراف على محطات الوقود بالطرق الرئيسية مع ملاحظة تواجد مساجد بهذه المحطات مزودة بدورات المياه وأماكن واستراحات خاصة تخدم المسافرين على هذه الطرق .

٢٠ - ويقتضي تطوير شواطئ البحر الأحمر والخليج العربي واعدادها سياحياً بعمل الآتي :

أ - اعداد (لنشات) مجهزة للصيد في البحر تحتوي على ثلاجة لحفظ الأسماك وكل معدات الصيد ..

ب - إنشاء منتزة بحري للحفاظ على الحياة الفطرية البحرية ونادي للرياضات البحرية يحتوي على التالي :

١ - مركز للغطس تحت الماء يحتوي على كل معدات الغوص ووسائل فحص وضبط هذه المعدات والأجهزة .

٢ - متحف بحري للحياة البحرية .

٣ - قوارب شراعية وقوارب سباق ، وقوارب للنزهة البحرية ذات القاع الزجاجي.

جـ - إنشاء مركز للصناعات والحرف اليدوية التي تدخل في صناعة التحف والتذكارات يستفاد فيها من الخامات المحلية التي تعتمد على البيئة البحرية من أسماك وأصداف ومحار وقواقع وشعب مرجانية .

د - اعداد زوارق آلية ذات قاع زجاجي لرؤية الشعب المرجانية والأحياء المائية والأسماك المتواجدة في قاع البحر .

والله من وراء القصد .


البحوث

الفقه في عصر التدوين والأئمة المجتهدين

د . عبد العزيز محمد شرف الدين

هذا العهد ابتدأ من أول القرن الثاني الهجري ، وانتهى في أواسط القرن الرابع الهجري فهو بالتقريب « ٢٥٠ سنة » وسمى عهد التدوين والأئمة المجتهدين لأن حركة الكتابة والتدوين نشطت فيه . فدونت السنة ، وفتاوى المفتين من الصحابة والتابعين وتابعيهم . وموسوعات في تفسير القرآن وفقه الأئمة المجتهدين ، ورسائل في علم أصول الفقه ولأن مواهب عدد كبير من رجال الاجتهاد ، والتشريع ظهرت فيه وسرت فيهم روح تشريعية كان لها أثر خالد في التقنين واستنباط الأحكام لما وقع ومايحتمل وقوعه.

وهذا هو العهد الذهبي للتشريع الإسلامي فقد نما فيه ونضج ، وأثمر ثروة تشريعية أغنت الدولة الإسلامية بالقوانين والأحكام على سعة أرجائها واختلاف شئونها وتعدد مصالحها .

والأسباب التي أدت إلى نمو الفقه الإسلامي ونشاط حركة الاجتهاد في هذا العهد كثيرة ولكن أهمها ما يأتي :

أولاً : أن الدولة الإسلامية في ذلك العهد اتسعت رقعتها ، وتباعدت أطرافها وشملت برعايتها كثيراً من الشعوب المختلفة والأجناس والعادات والمعاملات والمصالح لأن حدود الدولة الإسلامية امتدت شرقاً إلى الصين وغرباً إلى بلاد الأندلس . وهذه البلدان وشعوبها لابد لها من قوانين يرجع إليها قضاتها وولاتها ، وفتاوى يرجع إليها أفرادها ولامصدر لهذا التقنين والإفتاء إلا مصادر الشريعة لهذا بذل العلماء جهودهم في الرجوع إلى هذه المصادر واستمدوا من نصوص الشريعة وروحها . وما أقامه الشارع من دلائلها ، أحكام ماطرأ للدولة ، من مصالح وحاجات بل زاد نشاطهم فشرعوا أحكاماً لحوادث فرضية ، وبهذا النشاط لم يضق التشريع الإسلامي بحاجة ولم يقصر عن مصلحة. والنشاط السياسي يبث النشاط في كل شئون الدولة.

ثانياً : أن الذين تصدوا للتقنين والإفتاء في ذلك العهد وجدوا طرق التشريع ممهدة ، وصعابه ميسرة ، لأنهم وجدوا المصادر التشريعية في متناولهم ووجدوا كثيراً من الوقائع

والمشاكل قد عالجها سلفهم من قبلهم ، فالقرآن مدون ومنشور بين خاصة المسلمين وعامتهم ، والسنة مدون أكثرها من بدء القرن الثاني الهجري ، وكذلك فتاوى الصحابة والتابعين ، فاليسر الذي وجده مجتهدو ذلك العهد في رجوعهم إلى القرآن والسنة والنور الذي لمحوه من فتاوى سلفهم من الصحابة وتابعيهم ، ومن آثارهم في تفسير النصوص كان من عوامل نشاطهم ، ووفرة إنتاجهم ، والخلف يستثمر عقله وعقل سلفه.

وثالثاً : أن المسلمين في ذلك العهد كانوا شديدي الحرص على أن تكون جميع أعمالهم من عبادات ومعاملات وعقود وتصرفات على وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

فلهذا كانوا في كلياتهم وجزئياتهم يرجعون إلى أولى العلم والفقه يستفتونهم عن الحكم الشرعي .

وكذلك كان الولاة والقضاة فيما يعرض لهم من الخصومات يرجعون إلى المفتين ورجال التشريع فكان المجتهدون في ذلك العهد موردا لاينقطع وارده من أفراد وولاة وقضاة ومن هذا اتصلت جهودهم ونما انتاجهم.

ورابعاً : أن ذلك العهد نشأ فيه أعلام لهم مواهبهم واستعداداتهم وساعدتهم البيئة التي عاشوا فيها على استثمار هذه المواهب والاستعدادات ، فتكونت الملكة التشريعية لكثير من أفذاذهم أمثال أبي حنيفة وأصحابه ، والشافعي وأصحابه ومالك وأصحابه وأحمد وأصحابه ، وغيرهم من معاصريهم من الأئمة والمجتهدين واقتدوا بهذه الملكات على تنمية الفقه الإسلامي وسد الحاجة التشريعية للدولة .

فالبيئة الإسلامية في ذلك العهد أنضجت عقول ذوي المواهب من رجاله . لأن العقول الراجحة كالبذر الصالح إذا وجد التربة الطيبة والجو الملائم نما وأتى ثمراته . ولاخير في صلاح البذر إذا خبثت التربة وفسد الجو كما أنه لاخير في طيب التربة وحسن الجو إذا فسد البذر .

من تولى سلطة التشريع في هذا العهد :

في أواخر القرن الأول لازم الصحابة الذين تصدوا للإفتاء والتشريع في مختلف الأمصار جماعة من التابعين أخذوا عنهم القرآن ، ورووا عنهم السنة ، وحفظوا فتاويهم ، وفهموا منهم أسرار التشريع ، وطرق الاستمداد للأحكام وهؤلاء التابعون منهم من كان يستفتى ويفتي في حياة الصحابة أنفسهم مثل سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعلقمة بن

قيس ، وسعيد بن جبير بالكوفة ، حتى روى أن عبد الله بن عباس كان إذا حج أهل الكوفة ، واستفتوه قال لهم : أليس فيكم سعيد بن جبير . وقد لازم هؤلاء التابعين في حياتهم جماعة من تابعي التابعين تلقوا عنهم ما تقلوه عن الصحابة ، من القرآن والسنة وأخذوا عنهم ماعلموه من الفقه وأسرار التشريع ، ولازم تابعي التابعين ، جماعة من طبقة الأئمة الأربعة المجتهدين ، ومعاصريهم من رجال التشريع .

فلما انقرض رجال التشريع من الصحابة خلفهم في تولي سلطة التشريع تلاميذهم من التابعين ، وخلف هؤلاء تلاميذهم من تابعي التابعين ، وخلف هؤلاء تلاميذهم من الأئمة الأربعة المجتهدين وأقرانهم . هذا مع الاختلاف في أبي حنيفة والراجح أنه من تابعي التابعين :

(١) فكان رجال التشريع في كل مصر من أمصار المسلمين طبقات ، وكل طبقة يعد رجالها تلامذة لسلفهم وأساتذة لخلفهم ، ومن لازموا المشرعين في حياتهم ، وأخذوا عنهم علمهم وفقههم تصدوا لإفتاء الناس من بعدهم ، والقيام بما كان يقوم به أساتذتهم ، وبهذا اتصلت حركة التشريع في الأمصار :

ففي المدينة أشهر أساتذة التشريع من الصحابة عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب : وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأشهر تلاميذ هؤلاء : سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير، وسائر فقهاء المدينة السبعة وأشهر تلاميذ هؤلاء محمد بن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد ، وأشهر من خلف هؤلاء : مالك بن أنس وأقرانه .

وفي مكة أشهر أساتذة التشريع من الصحابة عبد الله بن عباس ، وأشهر تلاميذه عكرمة ومجاهد وعطاء ، وأشهر تلاميذهم سفيان بن عينية ومفتي الحرم مسلم بن خالد ، وأشهر من خلف هؤلاء الشافعي في حياته الأولى .

وفي الكوفة أشهر أساتذة التشريع من الصحابة عبد الله بن مسعود ، وأشهر تلاميذه علقمة بن قيس ، والقاضي شريح ، وأشهر تلاميذهما إبراهيم النخعي وأشهر تلاميذه حماد بن أبي سليمان أستاذ أبي حنيفة وأصحابه .

وفي مصر أشهر أساتذة التشريع من الصحابة عبدالله بن عمرو بن العاص وأشهر تلاميذه مفتي مصر يزيد بن حبيب ، وأشهر تلاميذه الليث بن سعد وأقرانه من بني عبد الحكم، وأشهر من خلف هؤلاء الشافعي في حياته الأخيرة ولم يكتسب رجال التشريع من كل طبقة من هذه الطبقات سلطة التشريع من تعيين الخليفة أو انتخاب الأمة ، وإنما وثق

المسلمون بهم كما وثقوا بأساتذتهم من الصحابة واطمأنوا إلى عدالتهم وضبطهم وعلمهم وفقههم فرجعوا إليهم يسألهم الولاة والقضاة في الأقضية والخصومات ويستفتيهم الأفراد في وقائعهم إلى بيانهم النصوص ، وفتاويهم الخ ، وما يطرأ لهم من الحاجات ، وكانت طبقة ترث من سلفها العلم والثقة واطمئنان المسلمين إلى بيانهم ، النصوص وفتاويهم فيما لا نص فيه .

وكان أكثر رجال التشريع في هذا العهد يقومون بتدريس العلوم الشرعية ورواية الحديث ومنهم من ولي القضاء مثل شريح والشعبي وأبي يوسف ، ومنهم من كان يتجر كأبي حنيفة ، فلم يكن الإفتاء وظيفة ينقطع لها المفتي ، وإنما كان واجباً يتصدى للقيام به من أنس في نفسه القدرة على أدائه مع اشتغاله بوظيفته أو تجارته أو دراسته (٢) .

مصادر التشريع في هذا العهد :

كانت مصادر التشريع في هذا العهد أربعة : القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والاجتهاد بالقياس أوبأي طريق من طرق الاستنباط، فكان المفتي إذا وجد نصاً في القرآن أو السنة يدل على حكم ما استفتي فيه وقف عند النص ولا يتعدى حكمه ، وإذا لم يجد في الواقعة نصاً ووجد سلفه من المجتهدين أجمعوا في هذه الواقعة على حكم وقف عنده وأفتى به ، وإذا لم يجد نصاً على حكم الواقعة ولا إجماعاً على حكم فيها اجتهد واستنبط الحكم بالطرق التي أرشد إليها الشارع للاستنباط .

ماطرأ على مصادر التشريع :

وقد طرأ على المصدر التشريعي الأول وهو القرآن في هذا العهد طارئان لهما أثرهما في حفظه وضبطه وصونه من أي تحريف .

الأول : عناية طائفة من المسلمين بحفظه جميعه وتصديهم لتلقي الحفّاظ عنهم . وأشهر هؤلاء القراء السبعة الذين اشتهروا بالحفظ والضبط والإتقان . وما انقرضوا في القرن الثاني الهجري إلا وقد خلفهم في الحفظ والضبط تلاميذهم ، وخلف هؤلاء تلاميذهم، واتصل سند الحفاظ الذين تنافسوا في الضبط والإتقان ، وساعد على ازدياد حفظة القرآن والتنافس في حفظه أن تلاوته عبادة وأنه يتلى في كل صلاة .

والطارئ الثاني : إدخال الإصلاح في رسم كتابته ، وشكل حروفه وذلك أن المصحف الذي دون في عهد عثمان بن عفان ومنه نسخت عدة مصاحف ووزعت في الأمصار كان مكتوبا بالخط الكوفي بلا نقط ولاشكل وكان الاعتماد في قراءته على التلقي من الحفظة

ولكن لما دخل في الإسلام كثير من الأمم غير العربية وخيف أن يقع بعض القارئين في الخطأ أو اللبس وضع أبو الأسود الدؤلي بناء على طلب أمير العراق زياد بن أبيه علامات لشكل أواخر الكلمات ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف . وعلامة الكسرة نقطة تحته، وعلامة الضمة نقطة إلى جانبه ، وعلامة التنوين نقطتين ، ثم عدل الخليل بن أحمد هذه العلامات فجعل علامة الفتحة ألفاً مسطوحة فوف الحرف ، وعلامة الكسرة ياء تحته، وعلامة الضمة واوا فوقه ، ولم يقتصر على شكل أواخر الكلمات بل زاد شكل الكلمات كلها ، ووضع نصر بن عاصم بناء على طلب أمير العراق الحجاج بن يوسف النقط لما ينقط من الحروف بنقطة أو اثنتين . وبهذا التنافس في حفظ القرآن والتزايد في حفظته، وهذا الإصلاح والتهذيب في رسمه، وشكله ، ونقطه ، وتمييز كل حرف بما يعين على النطق به صحيحاً تمت للمصدر التشريعي الأول وسائل التكميل والضبط، والتيسير [٣].

وأما المصدر التشريعي الثاني وهو السنة :

فقد طرأ عليه أيضاً في أول هذا العهد طارئ له أثر تشريعي عظيم وذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب في عهد خلافته إلى والي المدينة أبي بكر محمد بن عمر بن حزم « انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء [٤] وكلف أيضاً بهذا التدوين محمد بن شهاب الزهري . فقام كل منهما بتدوين ما استطاع تدوينه من السنة وبهذا بدأ تدوين نصوص المصدر التشريعي الثاني بعد أن لبثت في القرن الهجري الأول كله يرجع إليها في صدور رواتها وحفاظها وإلى تلك الصحف والرسائل التي كتبت في عهده - صلى الله عليه وسلم - وتداول تدوينها من بعده الصحابة والتابعون وتابعوهم وتتابع على هذا التدوين كثير من العلماء ، ففي سنة ١٤٠هـ دوّن الإمام مالك بن أنس كتابه الموطأ في صحيح الحديث بناء على طلب الخليفة المنصور. وفي هذا القرن الثاني الهجري دون أصحاب المسانيد في السنة مسانيدهم.

والمسند هو ما تجمع فيه الأحاديث حسب رواتها فيجمع مارواه عمر على حدة ، وما رواه أبو بكر على حدة يصرف النظر عن موضوع الحديث ومن أقدم ما وصل إلينا منها سند الإمام أحمد وفي القرن الثالث الهجري دونت صحاح السنة الستة وهي صحيح البخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجة ، وإذا قيل في الحديث رواه الستة ، فالمراد أنه رواه هؤلاء جميعهم ، ودون كثيرون غير هؤلاء عدة مجاميع في السنة .

ولكن هذا التدوين الذي حفظ السنة من الضياع لم يؤد إلى جمع المسلمين على مجموعة واحدة من السنة تكون مرجعاً لخاصتهم وعامتهم على السواء كما جمعت كلمتهم على مجموعة واحدة من نصوص القرآن ، ولهذا بقيت السنة بعد تدوينها فيها مجال للاختلاف ، وإليها منفذ للوضع والافتراء وقد فكر الخليفة المنصور العباسي في أن يكون مجموعة من السنة وينشرها بين المسلمين ويجمع كلمتهم عليها ، والرجوع إليها فأمر إمام المدينة مالك بن أنس أن يكتب من السنن كتاباً يتجنب فيه رخص ابن عباس ، وشدائد ابن عمر فكتب الإمام مالك كتابه الموطأ وأراد المنصور أن ينفذ فكرته ويحمل الناس على الرجوع إليه وحده فقال له مالك : لاسبيل إلي ذلك يا أمير المؤمنين لأن الصحابة افترقوا بعد الرسول كل يتبع ما صح عنده ، وكلهم على هدى وكلهم يريد الله، فعدل المصنور عما أراد (٥) .

الخطة التشريعية في هذا العهد :

في صدر هذا العهد حين كانت السلطة التشريعية في طبقة التابعين وكبار تابعيهم كانت خطتهم التشريعية هي خطة أساتذتهم من الصحابة في رجوعهم إلى مصادر التشريع وفي مبادئهم العامة التي راعوها في تشريعهم ، ولهذا كانت فتاويهم على قدر ما وقع من الحوادث والأقضية . ولم تتسع مسافات الخلاف بينهم ، ولم تتجاوز أسباب اختلافهم - الأسباب الثلاثة التي من أجلها اختلفت فتاوى الصحابة .

ولكن ابتداء من هذا العهد وقعت بين بعض رجال التشريع مناظرات واختلافات كانت تؤذن بظهور خطط تشريعية جديدة ، فقد وقعت في المدينة بحوث تشريعية بين ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وبين محمد بن شهاب الزهري ونظرائه أدت إلى أن كثيرين من فقهاء المدينة كانوا يفارقون مجلس ربيعة وإلى أنهم لقبوه ربيعة الرأي ، ووقع في الكوفة مثل هذا بين إبراهيم النخعي ، وبين الشعبي ، فلما آلت السلطة التشريعية في أواسط القرن الهجري الثاني إلى طبقة الأئمة المجتهدين أبي حنيفة وأقرانة وأصحابه ومالك وأقرانه وأصحابه كانت قد تكونت عدة آراء في خطة التشريع ، وطرأت جملة عوامل جعلت من رجال التشريع أحزابا كل حزب له مذهب تشريعي يختلف عن مذاهب الآخرين في أحكامه وفي طرق استنباطه وفي بعض مبادئه العامة .. وهكذا تعددت الخطط التشريعية لرجال التشريع وتكونت المذاهب الفقهية .

* * * * *

أسباب اختلاف الأئمة المجتهدين وتكون المذاهب

بينا أنه في عهد الرسول لم يقع اختلاف في حكم واقعة لأن المرجع التشريعي واحد ، وأنه في عهد الصحابة لماتعدد رجال التشريع منهم وقع بينهم اختلاف في بعض الأحكام وصدرت عنهم في الواقعة الواحدة فتاوى مختلفة ، وأن هذا الاختلاف لابد أن يقع بينهم ، لأن فهم المراد من النصوص يختلف باختلاف العقول ووجهات النظر ، ولأن علمهم بالسنة وحفظهم لها لم يكن على السواء ، وربما وقف بعضهم منها على مالم يقف عليه الآخر ، ولأن المصالح التي تستنبط لأجلها الأحكام يختلف باختلاف البيئات التي يعيش فيها رجال التشريع .

فلهذه الأسباب اختلفت فتاويهم وأحكامهم في بعض الوقائع والأقضية ، مع اتفاقهم على مصادر التشريع وترتيب رجوعهم إليها ، والمبادئ التشريعية العامة ، أي أنهم اختلفوا في الفروع فقط ، ولم يختلفوا في أصول التشريع ولا في خطته .

ولكن لما آلت السلطة التشريعية في القرن الثاني الهجري إلي طبقة الأئمة المجتهدين اتسعت مسافة الخلاف بين رجال التشريع ولم تقف أسباب اختلافهم عند الأسباب الثلاثة التي بني عليها اختلاف الصحابة بل جاوزتها إلى أسباب تتصل بمصادر التشريع وبالنزعة التشريعية وبالمبادئ اللغوية التي تطبق في فهم النصوص . وبهذا لم يكن اختلافهم في الفتاوى والفروع فقط بل كان اختلافاً أيضاً في أسس التشريع وخططه ، وصار لكل فريق منهم مذهب خاص يتكون من أحكام فرعية استنبطت بخطة تشريعية خاصة.

ويرجع اختلاف الخطة التشريعية للأئمة المجتهدين إلى إختلافهم في أمور ثلاثة: الأول في تقرير بعض المصادر التشريعية ، والثاني في النزعة التشريعية والثالث في بعض المبادئ اللغوية التي تطبق في فهم النصوص .

١ - فأما اختلافهم في تقدير بعض مصادر الشريع فقد ظهر فيما يأتي :

أولاً : في طريق الوثوق بالسنة والميزان الذي ترجح به رواية على رواية وذلك أن الوثوق بالسنة مبنى على الوثوق برواتها وكيفية روايتها ، وقد اختلفت الأئمة في طريق هذا الوثوق ، فمجتهدو العراق : أبو حنيفة وأصحابه يحتجون بالسنة المتواترة والمشهورة ويرجحون ما يرويه الثقات من الفقهاء ولهذا قال أبو يوسف « عليك بما عليه الجماعة من

الحديث وما يعرفه الفقهاء » ومجتهدو المدينة مالك وأصحابه يرجحون ما عليه أهل المدينة بدون اختلاف - ويتركون ما خالفه من أخبار الآحاد ، وباقي الأئمة يحتجون بما رواء العدول الثقات من الفقهاء وغير الفقهاء ، وافق عمل أهل المدينة أوخالفه .

وترتب على هذا أن مجتهدي العراق جعلوا المشهور في حكم المتواتر وخصصوا به العام في القرآن وقيدوا به المطلق فيه ، وغيرهم لم يجعلوا له هذه القوة . وترتب عليه أيضاً **أن الحديث المرسل** وهو مارواه الصحابي بقوله : أمر رسول الله بكذا ، أو نهى عن كذا ، أو قضى بكذا ، من غير أن يصرح بأنه سمع ذلك بنفسه أو شافهه أو شاهده ، يحتج به بعض رجال التشريع ولا يحتج به بعضهم ؛ فهذا الاختلاف في طريق الوثوق بالسنة أدى إلى أن بعضهم احتج بسنة لم يحتج بها الآخر ، وبعضهم رجح سنة هي مرجوحة عند الآخر وعن هذا نشأ اختلاف الأحكام (٦) .

وثانياً : في فتاوى الصحابة وتقديرها ، فإن الأئمة اختلفوا في الفتاوى الاجتهادية التي صدرت عن أفراد الصحابة **فأبو حنيفة** ومن تابعه خطته بالنسبة إليها أن يأخذ بأية فتوى منها ولايتقيد بواحدة معينة ولا يخرج عنها جميعها .

والشافعي ومن تابعه خطته بالنسبة إليها أنها فتاوى اجتهادية فردية صادرة من غير معصومين فله أن يأخذ بأية فتوى منها ، وله أن يفتي بخلافها كلها ، وعن هذا نشأ أيضاً اختلاف في الأحكام.

وثالثاً : في القياس ، فإن بعض المجتهدين من **الشيعة والظاهرية** أنكروا الاحتجاج بالقياس ونفوا أن يكون مصدراً للتشريع ولهذا سموا نفاة القياس . **وجمهور الأئمة** احتجوا بالقياس وعدوه المصدر التشريعي بعد القرآن والسنة والإجماع ولكنهم مع اتفاقهم على أنه حجة اختلفوا فيما يصلح أن يكون علة للحكم ويبنى عليه القياس . ونشأ عن هذا أيضاً اختلاف في الأحكام .

٢ - وأما اختلافهم في النزعة التشريعية :

فقد ظهر في انقسامهم إلى فريق **أهل الحديث** - ومنهم أكثر مجتهدي الحجاز وفريق **أهل الرأي** - ومنهم أكثر مجتهدي العراق - وليس معنى هذا الانقسام أن فقهاء العراق لايصدرون في تشريعهم عن الحديث وأن فقهاء الحجاز لا يصدرون في تشريعهم عن الاجتهاد بالرأي لأنهم جميعاً متفقون على أن الحديث حجة شرعية ملزمة ، وأن الاجتهاد بالرأي حجة شرعية فيما لا نص فيه .

وإنما معنى هذا الانقسام وسبب هذه التسمية أن **فقهاء العراق** أمعنوا النظر في مقاصد الشارع وفي الأسس التي بني عليها التشريع ، فاقتنعوا بأن الأحكام الشرعية معقول معناها ومقصود بها تحقيق مصالح الناس ، وبأنها تعتمد على مبادئ واحدة وترمي إلى غاية واحدة ، وهي لهذا لابد أن تكون منسقة ولاتعارض ولاتباين بين نصوصها وأحكامها.

وعلى هذا الأساس يفهمون النصوص ، ويرجحون نصاً على نص ، ويستنبطون فيما لانص فيه ؛ ولو أدى استنباطهم على هذا الأساس إلى صرف نص عن ظاهره أو ترجيح نص على آخر أقوى منه رواية حسب الظاهر . وهم من أجل هذا لايتحرجون من السعة في الاجتهاد بالرأي ، ويجعلون له مجالاً في أكثر بحوثهم التشريعية .

وأما فقهاء الحجاز فقد عنوا بحفظ الأحاديث وفتاوى الصحابة ، واتجهوا في تشريعهم إلى فهم هذه الآثار حسبما تدل عليها عباراتها ، وتطبيقها على ما يحدث من الحوادث غير باحثين في علل الأحكام ومبادئها ، فإذا وجدوا ما فهموه من النص لايتفق مع ما يقتضيه العقل لم يبالوا بهذا وقدموا النص ، وكانوا من أجل هذا يتحرجون من الاجتهاد بالرأي ولا يلجأون إليه إلا عند الضرورة القصوى ،

مثلاً : ورد في الحديث أن في كل أربعين شاة شاة ، وأن صدقة الفطر صاع من تمر أو شعير ، وأن من رد الشاة المصراة بعد احتلاب لبنها ، رد معها صاعاً من تمر .

فقهاء العراق يفهمون هذه النصوص على ضوء معناها المعقول ومقصد الشارع من تشريعها ، وهو أن مالك أربعين شاة يجب عليه أن ينفع الفقراء بواحدة **أو مايعادلها** وأن المتصدق بصدقة الفطر يجب عليه أن ينفعهم بصاع من تمر **أو مايعادله**، واللبن المحتلب يضمن بمثله أو قيمته وليس خصوص الشاة أو الصاع مقصوداً للشارع ، فمن زكى بقيمة الشاة أو تصدق بقيمة الصاع ، أو ضمن لبن المصراة بقيمته أجزأه لأن المقصود نفع الفقراء ، وتعويض المال المتلف .

وأما فقهاء الحجاز فيفهمون هذه النصوص حسبما تدل عليه عبارتها الظاهرة ولايبحثون في علة التشريع ولايتجهون إلى التأويل بناء على مراعاة العلل المعقولة . وعلى هذا يوجبون الشاة بخصوصها ، والصاع بخصوصه ولايجزئ في مذهبهم القيمة هذا وقد كان من فقهاء العراق من يأخذ بالحديث والأثر كالشعبي ومن فقهاء الحجاز من يأخذ بالرأي كربيعة شيخ مالك رحمهم الله .

وأهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف هاتين النزعتين هي :

١) أن الأحاديث وفتاوى الصحابة لم تكن كثيرة في العراق كثرتها في الحجاز . فالحجازيون وجدوا عندهم ثروة من الآثار اعتمدوا عليها في تشريعهم وركنوا إليها . وأما فقهاء العراق فلم تكن لديهم هذه الثروة ؛ فاعتمدوا على عقولهم ، واجتهدوا في تفهم معقول النص وعلة التشريع لتتسع معاني النصوص لما لم تتسع له ألفاظها ، وأسوتهم في هذا أستاذهم عبد الله بن سعود .

٢) أن العراق كانت فيها الفتن التي أدت إلى افتراء الأحاديث وتحريفها لأنها كانت مهد الشيعة ومقر الخوارج ، وقد شاهد فقهاء العراق من الجرأة على وضع الأحاديث والتحريف فيها ما لم يشاهده فقهاء الحجاز ، فلهذا تشددوا في قبول الرواية والتزموا أن يكون الحديث مشهورا بين أهل الفقه وإذا وجدوا حديثاً يفهم منه مالا يتفق وحكمة الشارع أولوه أو تركوه.

٣) أن بيئة العراق غير بيئة الحجاز ، والأقضية والحوادث في البلدين مختلفة لأن دولة الفرس خلفت في العراق أنواعاً من المعاملات والعادات والنظم لايعهد مثلها في بلاد الحجاز فكان مجال الاجتهاد في العراق ذا سعة وأفق البحث ممتداً .

ولهذا تكونت في فقهاء العراق ملكة البحث والتفكير وبدت لهم وجوه عديدة من الرأي والنظر في التشريع .

- وأما فقهاء الحجاز فقلما حدث لهم ما لم يحدث لسلفهم من التابعين أو الصحابة لأن البيئة واحدة ، وقلما حدث لهم مالم يحفظوا في حكمه حديثاً أو فتوى صحابي . فلما لم يجدوا للاجتهاد المجال الذي وجده العراقيون اعتادوا فهم النصوص على ظواهرها ولم تدعهم حاجة إلى البحث في عللها أو التعمق في مقاصدها.

٣ - وأما اختلافهم في بعض المبادى الأصولية اللغوية :

فقد نشأ من اختلاف وجهات النظر في استقراء الأساليب العربية ، فمنهم من رأي أن النص حجة علي ثبوت حكمه في منطوقه وعلى ثبوت خلاف حكمه في مفهومه المخالف ، ومنهم من لم ير هذا . ومنهم من رأى أن العام الذي لم يخصص قطعي في تناول جميع أفراده ، ومنهم من رأى أنه ظني ، ومنهم من رأى أن المطلق يحمل على المقيد عند اتحاد الحكم ولو اختلف السبب ، ومنهم من رأى أنه لا يحمل عليه إلا عند اتحاد الحكم ولو

اختلف السبب ومنهم من رأى أن الأمر المطلق للإيجاب ولايصرف عنه إلا بقرينة ، ومنهم من رأى أنه لمجرد طلب الفعل . والقرينة هي التي تعين الإيجاب أو غيره إلى غير ذلك من المبادئ الأصولية التي تفرع علي اختلافهم فيها اختلافهم في كثير من الأحكام .

فالخطة التشريعية لكل مجتهد في هذا العهد كانت قائمة على طريق ثقته بالسنة وتقديره لفتاوي الصحابة ، ومسلكه في القياس ونزعته في فهم النصوص وتأويلها وتعليلها ، ومبادئه التي سار عليها من استقرائه الأحكام الشرعية والأساليب العربية ، وبنى عليها استنباطه (٧) .

ما خلفه هذا التشريع من آثار تشريعية

أهم ما خلفه هذا العهد من الآثار التشريعية ثلاثة :

الأول : تدوين صحاح السنة التي دونت فيه ، فبعضها جمعت فيها الأحاديث على طريق المسانيد ، وبعضها جمعت فيها الأحاديث حسب أبواب الفقه ، وقد تنافس علماء الحديث في الجمع والضبط وتعرف الرواة ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

الثاني : تدوين الفقه وأحكامه ، وجمع المسائل المرتبطة بموضوع واحد بعضها مع بعض ، وتعليل الأحكام والاستدلال عليها لأن الدولة الإسلامية في هذا العهد لما اتسعت أرجاؤها ، وزادت حضارتها ، وجدت فيها أقضية وحوادث ونظم كانت مجالاً فسيحاً للاجتهاد والمجتهدين ، فاجتهدوا في فهم النصوص وفي الاستنباط فيما لانص فيه وتنافسوا في هذا الاجتهاد وتأثروا في طرق اجتهادهم بطرق البحث التي ظهرت في مؤلفاتهم من دخلوا في الإسلام من الأمم غير العربية وفيما نقل إلى المسلمين من علوم وفنون.

فلهذا لم تكن فتاوى المجتهدين في هذا العهد مجرد فتاوى بل كانت آراءً وبحوثاً معللة مؤيدة بالبرهان . وبهذا صار الفقه وأحكامه علماً ذا مسائل كلية تطبق على ما وقع ومالم يقع ، وكان من أحكامه أحكام لحوادث لم تقع أصلاً ، ودونت فيه موسوعات لاتزال مرجع المسلمين حتى اليوم .

ومن أشهر هذه الموسوعات في مذهب الإمام أبي حنيفة كتب ظاهر الرواية الستة التي رواها محمد بن الحسن عن أبي يوسف عن أبي حنيفة وجمعها كتاب الكافي للحاكم الشهيد. وفي مذهب الإمام مالك كتاب المدونة التي رواها سحنون عن أبن القاسم عن

الإمام مالك ، وفي مذهب الإمام الشافعي كتاب الأم الذي أملاه الشافعي على تلاميذه بمصر وغير ذلك كثير في مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين .

الثالث : تدوين علم أصول الفقه . وذلك أنه لما اتخذ كل مجتهد في هذا العهد خطة تشريعية خاصة عنى بوضع الأصول والأسس التي بنى عليها خطته واجتهاده ، وكان كل مجتهد منهم يبث مبادئه وأصوله في ثنايا مسائله وأحكامه ، ففي كثير من موضوعات الموطأ أشار الإمام مالك إلى مبادئه وقواعده التشريعية ، وكذلك الإمام أبو حنيفة وأصحابه ، حتى نقل أن أبا يوسف كتب كتاباً مستقلاً في أصول الفقه ، ولكن أول من جمع هذه القواعد مرتبة معللة مقيماً على كل قاعدة منها برهانها ، وهو الإمام محمد بن إدريس الشافعي في رسالته المشهورة في علم الأصول .

ولذا اشتهر أنه واضع علم أصول الفقه ، والحقيقة أنه رتبه وصاغ ، قواعده صوغاً علمياً ، ولم يبتدئ وضعه (٨) .

الهوامش

(١) الإحكام لابن حزم جـ ٢ ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق جـ ٥ ص ٩٥ – ص ١٠٥. وتاريخ التشريع الإسلامي للشيخ مناع القطان من ص ٢٨٩ : ص ٢٩٤.

(٣) تاريخ التشريع / الخضري ص ١٣٣.

(٤) رواه الدارمي في سننه وابن سعد في الطبقات الكبرى ومالك في الموطأ من رواية محمد بن الحسن.

(٥) تاريخ التشريع للحضري ص ١٣٣ ، ١٤٥ . وتاريخ التشريع للشيخ مناع قطان ص ٢٨٧ .

(٦) أسباب اختلاف الفقهاء لعبدالله بن عبد المحسن التركي ص ١٠٠ مطبعة الرياض وأسباب اختلاف الفقهاء للشيخ علي الخفيف ، ص ١٠١.

(٧) أسباب اختلاف الفقهاء / لعبد الله بن عبد المحسن التركي ، ص ٢٣ ، ٢٤ وانظر أيضاً :

مناهج التشريع الإسلامي في القرن الثاني الهجري / د/ محمد بلتاجي / مطابع نجد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م من ص ٤٠٣ - ٤٢٠ ملخطاً .

ونظرة عامة في تاريخ الفقة الإسلامي د . حسن عبد القادر ص ٨٨

ورفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية ص ٢٥ .

والإنصاف في مسائل الخلاف للدهلوي / ٣١ .

ومقدمة كتاب بداية المجتهد لابن رشد .

والخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه للشيخ / محمد بن صالح العثيمين من ص ٨ - ٣١ ملخصاً .

والاختلاف أسبابه وآدابه في الإسلام لعلي حسين المقرفي من ص ٤٥ - ٦٥ ملخصاً

(٨) حجة الله البالغة للدهلوي / جـ١ ص ١٤٤ وما بعدها.

والفكر السامي ، للحجوي جـ١ ص ٤٤٧.

وانظر رسالة / المنهج الفقهي لعبد الله بن عمر وأثره في الفقه الإسلامي للمؤلف مخطوطة جـ٢ ص ٩٣٧ – ص ٩٣٩.

وتاريخ التشريع للقطان ص ٣٦٩.

نقد الشعر بين البلاغة عند العرب ومناهج اليونان والفرنجة في الغرب

د . محمد الحبيب ابن الخوجة

مما أعجبتُ به وترسَّمتُه من كلام الحذاق ، وأنا في ميعة الشباب ، قولُ صفيّ الدين الحلّي يتحدَّث عن علاقته بالشعر ونظمه له ، وولوعه به ، وحرصه على إبداعه ، والتميز فيه : " كنت قبل أن أشبّ عن الطوق وأعلمَ ما دواعي الشوق كلفا بالشعر نظماً وحفظا ، متقناً علومه معنى ولفظا". وقد تساءلت بعد ذلك عن تطويعه له ، ومهاراته فيه، وقدرته الفائقة على رسم أبهى الصور وأجملها من طريقه ، فتأكدتُ أنه بلغ في ذلك الذروة ، وأصبح في الشعر مفنّا ، بعد التمكن من علومه ، والحذق لأصول صناعته ؛ وذكرتُ جملة من مقالات النقاد جعلوا الشعر قسيماً للرسم والنحت والموسيقى ، وعبرّوا عن ذلك قديما وحديثاً : فقال سيمونيدس : الشعر صورة ناطقة ، والرسم شعر صامت ؛ وقال الجاحظ : الشعر صياغة وضربٌ من التصوير ؛ وقارن الجارم بين المثالين والشعراء في مدى إبداعهم في رسم الحقائق والمعاني ، ففضَّلَ هؤلاء حين قال يخاطب النحّاتين القائمين على صنع تمثال سعد :

صوِّروا شخصَه وخَلُّوا المعاني ... وَدَعُوها لريشة الشعراء
نحن أحرى بالرسم من ألف مثّا ... لٍ ، وأدرى بشيمة النبغاء .
يصعد الشعر حيث لا تصعد الشمس ، ويبقى على مدى الآناء .
هو خطُّ الجمال في صفحة الكو ... ن ، فهل للجمال من قراء ؟

ولابد أن يبلغ الشعر هذه المنزلة ، ويرقى هذه الرتبة ، بحُلْو نغمه ، وبراعة جماله ، وفيض الشعور فيه .

فالشعر تلبية القوافي ، والشعور بها مَهيب
وبه من الإيقاع ضرب لا تحاكيه الضروب
هو أنّة ، وتسيل من جرائها نفس صبيبُ

ولابد له من معان رقيقة وأغراض شريفة يتميز بها عن مجرد النظم كما ذكر ذلك

أبو محمد الخازن :

لايحسن الشعر ما لم يُسترق لـــه   حــرُّ الكلام وتستخدمْ له الفكـرُ
انظر تجد صورة الأشعار واحـــدة   وإنمــا لمعــان تعشـــقُ الصَـــور

وقد أكد هذا ، في العصر الحاضر ، أمير الشعراء شوقي بقوله :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة   أو حكمة فهو تقطيـــع وأوزان

ويزداد الشعر ائتلافا في هذه الحياة ، واستحواذا على القلوب والنفوس ، في كل بقعة من الأرض ، بما يَعْنيه عند كل أمة من الأمم ، وفي كل شعب من الشعوب على مرّ التاريخ الإنساني .

فهو مرآة الحضارة ووعاء المعرفة : سجَّل هوميروس في صفحاته الرائعة ، علومَ الأغريق وفنونَهم ، وتحدَّث فيه هوسيود عن تفسير اليونان لظواهر الطبيعة وحركة الأفلاك ومدِّ البحار وجَزرها وسلوك البشر والآلهة ، وعرض لوكريتيوس الروماني في أقاويله الشعرية لطبائع الأشياء يُجلِّيها ويحللهُا ، وكان الشعر في أدب لغتنا في العصر الجاهلي يؤدي وظيفة بالغة الأهمية كما حكى ذلك ابن رشيق في قوله : " كان الكلام كله منثوراً" فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكرأيامها الصالحة، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسُمَحائها الأجواد ، لتهز أنفسَها إلى الكرم، وتدل أبناءَها إلى حُسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام . فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ، لأنهم شعروا به أي فطنوا ... " . وهو ما يزال حتى اليوم ديوان خاصة العرب ، والمنظومَ من كلامها ، والمقيِّد لأيامها ، والشاهد على حكامها.

وربما تطورّت أغراضه ، واختلفت صوره ، وتباينت موضوعاته ، فأصبح في نظر الزهاوي : " ثورانَ الأرواح التي تهيج كالبراكين المضغوط عليها ، فتتفجر وتقذف بالنار والحمم على رؤوس الضاغطين عليها ، وسلاحَ الإنسانية المتبرِّمة تحارب به الإنسانية الظالمة . وهو الموقظ للأمم من رقدتها ، والنافخ فيها أرواحاً جديدة تطالب بحقوقها المهضومة ، وتدرأ عنها عادية الاستبداد ، وهو المثيرُ في الشعوب ما لها من القوى الكامنة لمقاومة ذوي الأثَرة ، وهو الذي يَلُم شعثها ، ويجمع شتاتها وينهض بها ويخلق من الضُعف قوة ... والشعر العصري هو شعور الشاعر المتولدُ من فعل للمحيط كبير التأثير في روحه ، فيبرزه في صورة ألفاظ موزونة تُعرِب عنه ، فلا يكون إلا صادقاً، لاتشينه مبالغة ، وسهلاً ليس عليه من التكلف ما يذهب بصفائه وروعته" .

وفي هذا الحال يصبح عمل الشاعر تجربة شخصية أو جماعية ، تُصور للناس العواطف الملتهبة التي اضطرمت بها نفسه ، واكتوت بها روحه ، فيرسلها نفثات كنفثات الشابي في خطابه لشعبه :

في صباح الحياة ضمّخت أكوابي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدّمتها إليك فأهرقتَ رحيقي، ودُست يا شعبُ كأسي
فتأمّلتُ ثم أسكتُ آلامي وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضّدتُ من أزاهير قلبي باقةً لم يمسها أي أنس
ثم قدمتُها إليك فمزّقتَ ورودي ودُستَها أي دوس
ثم ألبستني من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توّجت رأسي
ها أنا ذاهب إلى الغاب عليِّ في صميمِ الغاباتِ أدفِن نفسي

وإذا كانت تلك صورةُ الشعر عند اليونان والرومان ، وهذه حقيقته عند العرب منذ القدم ، توارثتها عنهم جميعاً القرون والأجيال في جميع الشعوب والأمم ، مفاخرةً بمختلف ضروبه القصصي والتمثيلي والغنائي ، فلا بدع أن نجد عزيز أباظة في حديثه عن الشعر الغنائي بعامة ، وعن الشعر المسرحي بخاصة ، يقول عن وعي ودراية : " إن الشعر هو ذلك النظم الذي لا يقصّ قصة أو يحمل معنى ، بل هو الأداة التي تعبر عن الانفعالات، وذلك هو الشعر الغنائي ، ثم يمضي قائلاً :" هو أنسب لغة للحوار على المسرح . فللسذّج من النظّارة القصة، وللمتأدبين منهج الديباجة المشرقة، ولهواة الموسيقى الإيقاع وجمال النغم،ولذوي الحساسية المرهفة المعاني البعيدة التي لا تلبث أن تتجلّى رويدا رويدا.

وبالرغم عمّا تَميّزَ به عصرُنا الحاضر عن العصور قبله ، وتقدمِ العلوم وتطورِ التكنولوجيا ، وحرص الناس فيه على النفعية ، فإن الرومانسيين اليوم لا يزدادون بالشعر إلا كلفاً ، وبه إلا تمسكاً ، وبفنونه إلا اعتداداً . فهو عند وردزوث : روح المعرفة الشفيفة والتعبير العاطفي المرتسم على وجه كل العلوم ، وهو لدى شللي مدد إلهي يمثّلُ مركزَ المعرفة ومحيطها ، فيشمل العلمَ كله لأنّه في نفس الوقت جذر الفكر وبرعمه ، أصله وفرعه . ويقول ماتيو رونالد عنه ، في معارضة خصوم الشعر ، وهو يرد على محاضرة توماس هكسلي " العلم والثقافة " : إن الشعر والبلاغة يُستقبلان ويُفهمان على حقيقتيهما كنقدٍ للحياة ، يقدمه ذوو المذاهب المشحونة بالقوة الخارقة .

ولا نزاع كما قال نعيمه في كون العواطف والأفكار إذا ما استيقظت ونطقت بنفسها بعبارة جميلة التركيب موسيقية الرنّة كان ما تنطق به شعرا ، وأن من استيقظت عواطفه وأفكاره وتمكّن من أن يلفظها بعبارة جميلة التركيب موسيقية الرنة كان شاعراً .

هذه لمحة دالة من آراء كبار الفلاسفة والشعراء ، وتصورات عالية لثلة كريمة من البلغاء والأدباء ، وإلماعات دقيقة لزمرة من الموهوبين المتفننين من أصحاب الإبداع في مختلف اللغات قديماً وحديثاً ، أتينا بها إطاراً لهذا الموضوع الشريف الذي ندبتموني إليه وشرفتموني بالحديث إليكم فيه هذه الليلة .

حضرات الأساتذة ، أيها السادة ،

إن الحديث عن الشعر بالشكل الذي قدّمنا ليقتضيه اليوم تمازج الثقافات ، ومعرفة الناس باللغات ، وانتشار الترجمات ، وكثرة الاقتباسات مع ما يوحي به هذا وذاك من تعدّد المدارس واختلاف المذاهب .

ولو كان في الوقت متسع لقمنا برحلة شعرية بين مجالات الإبداع الفنّي لعالم الشعر، لنشاهد ما ظهر بها من صور وأشكال لا تدخل تحت حصر ، ولنضع أيدينا على القواعد الأساسية لعلم الشعر المطلق ، ولنتلمس القيم الثابتة الجمالية لهذا الفن في كل بلد بلد وكل لغة لغة ، مثلما فعلنا عند دراستنا من ثلاثة عقود خلت " نماذج من شعراء الخلود " وتقديمنا وعرضنا " لطرائف القلم الغربي " ، وبحثنا فيما انتشر وفشا من " تيارات الأدب المعاصر ".

وما من شك في أن لهذا الفن الرائع سمات تميزه من حيث التركيبُ والبناء ، ومن حيث الأفكارُ والصور ، ومن حيث الانفعالات والتأثيرات ، ومن حيث الإيقاعُ والنغم . وهو بالإضافة إلى ما يستوجبه من موهبة شعرية وطبع جيد لدى مؤلفه يتطلب منه أن يكون على علم ومعرفة بوجوه التصرف في النظم . فليس الشعر عبارة عن أي لفظ اتفق كيفما اتفق نظمه ، ولا عن تضمُّن مقاطعه أيَّةَ صفة كانت أو أيَ غرض من غير اعتبار قانون في ذلك ولا رسمِ موضوع ، وليست صناعةُ النظم إجراءَ الكلام على الوزن والنفاذَ به إلى القافية . فمن وقفت به تجربته الشعرية عند هذا الحد لايمكن أن يبلغ درجة الإحسان أو الإبداع فيه ، وهو لايزيد بما يصنعه من ذلك على أن يُبدي عُوارَهُ ويُعرف عن قبيح مذهبه في الكلام وسوء اختياره .

ومن أجل ذلك كانت العرب لا تستغني في قولها الشعر ، الذي هو بالحقيقة شعر، ونظمها القصائد التي كانت تسميها أسماط الدهور ، عن التعليم والإرشاد إلى كيفيات المباني التي يجب أن يوضع عليها الكلام ، والتعريف بأنحاء التصرف في جميع ذلك ، والتنبيه على الجهات التي منها يداخل الخللُ المعاني ويقعُ الفساد في تأليف الشعر.

وهذا الأمر المهم هو موضوع النقد الأول ، يتكون به الفحول ، ويتخرّج به أصحاب المهارات ، وتتقن به وجوه النظم فلا تسيب ولا عرج في الوزن ، ولا بعد عن الأصالة، ولامجافاة للذوق الأدبي ، ولا تصحيف ولاتحريف . والذي يحكم بذلك ويشهد به إنما هو النقد ، قال الخليل بن أحمد لابن مناذر الشاعر : إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي ، إن قَرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم " ، وقال خلف الأحمر يجيب أحد المتأدبين عن قوله : " ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنتهُ ما قلتَ أنت وأصحابُك ، يعني العلماء بصناعة الشعر " فقال يسأله ويقرر .. " إنك إذا أخذت درهما تستحسنه ، وقال لك الصيرفي إنه ردي ، هل ينفعك استحسانك إيّاه " ؟ .

ثم إن النقد وسيلة إلى الكشف عن أسرار التعبير ، وإبراز النواحي الجمالية في فن القول ، وتسجيل الخصائص والمميزات البيانية في التأليف والنظم . وهو السبيل ، كما قال المرزوقي ، إلى تبيين ما هو عمود الشعر عند العرب ليتميّز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسم إقدام المزيِّفين على ما زيّفوه ، ويعلمَ أيضاً فرقُ ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الآتي السمح على الأبيِّ الصعب " ... وهو يمضي بعد ذلك فيحدد أصول النظم وقوانينه عند الفحول من الشعراء بقوله : " فإنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف . ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة ، كثرت سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، والمقاربة في التشبيه ، والتحامُ أجزاء النظم والتئامها ، على تخيّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ".

وهذه الوظائف الأساسية للنقد لا تُسند في الحقيقة إلا إلى المبرزين من الرواة ، وإلى أئمة الفن من كبار الشعراء الذين يهتدي بتصرفاتهم البارعة وأساليبهم الرائقة فيما أثر عنهم من روائع الشعر ، وإلى المقدمين من العلماء اللغويين والنحاة ، وإلى المتفوقين من الأدباء الكتاب .

ولا غرو أن يكون قد شارك في بناء نقد الشعر وإقامة أسسه كل أولئك الأصناف من الحذاق . فما من صنف منهم إلا وله جانب يعنيه وجهة تخصه ، يتناول منها الشعر فيهذبه، وهذا الفن من القول فيخلصه مما قد يشوبه من ألوان الضُعف والالتواء والاضطراب . قال الجاحظ : " وطلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات ".

وهذه الشهادة لاتنفي عن اللغويين والنحاة والإخباريين علمَهم بالشعر ، وقدرتَهم على سيره ونقده ، وإنما هي تصوير لمنازل وبيان لاختلاف درجاتهم في عمق النظر وإحاطته بكل جوانب هذا الفن .

فالرواة من أبرع الناس نفوذاً إلى المختار من الأقاويل الشعرية وأقدرهم على التفريق بينها والمقارنة بين وجوهها . ومن ثم كان المتقدمون من الشعراء في الغالب رواة . صرح بذلك القرطاجني في قوله كاشفا عن مواقع المعاني في النفوس : " وأنت لا تجد شاعراً مُجيدا إلا وقد لزم شاعراً آخر المدة الطويلة ، وتعلم منه قوانين النظم واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاديق البلاغية فقد كان كثير أخذ الشعر عن، جميل ، وأخذه جميل عن هدبةبن خشرم ، وأخذه هدبة عن بشر بن أبي خازم ؛ وكان الحطيئة قد أخذ علم الشعر عن زهير ، وأخذه زهير عن أوس بن حجَر . وكذلك جميع شعراء العرب المجيدين المشهورين .

ولا بدع بعد ذلك أن نرى رؤية يعلي من قدر الرواية ويرفع شأنها حتى يبلغ براوي الشعر رتبة السحر في قوله :

لقد خشيت أن يكون ساحراً		راويــة مـراً ومـراً شــاعـرا

وما الرئيُّ الذي ينسب إليه القدامى الإيحاء بالمنازع الجميلة في قول الشعر إلى صاحبه في اعتقادي إلا ما يستند إليه الشاعر منذ الحداثة أحياناً من واسع الرواية، وما يتخيرهُ من محفوظ ، يتأدَّب به ويردِّده . وقد أثر عن بعض الشباب في الزمن الأول قوله ولعله يعني هذا :

إني وإن كنت صغيـراً سنَّى		وكـــان في العـين نبـــوٌّ عنِّي

فـإن شيـطاني أميرُ الجـنِ		يذهـب بي في الشـعر كل فـن

حتي يزيل عنِّي التظنّي

ولعلك ترى عدي بن الرقاع العاملي يستفيد من روايته ، ويجمع إلى شاعريته الصنعة فيقول :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها ... حتى أقوِّم ميلها وسنادها
نظر المثقِّف في كعوب قناته ... حتى يقيمَ ثقافُهُ مُنآدَها
وعَلِمتُ حتى ما أسائل عالما ... عن حرف واحدة لكي أزْدادها

أو تسمع لقول ذي الرمّة مفتخراً :

وشعر قد أرقتُ له غريبٍ ... أجنبهُ المسانَد والمحالا
فبت أقيمه وأقدُّ منه ... قوافيَ لا أعُدُّ لها مِثالا

ولعلّ من أكثر الناس علماً بالشعر ، ووقوفا على مجاري القول فيه من كان له فيه معاناة ، ومعه تجارب . وهؤلاء هم الشعراء المتقدّمون أنفسُهم . فقد أثرت عن أبي تمام والمتنبي وابن الزيات والحسن بن وهب وغيرهم من الحذاق وصايا وتأمّلات تكشف عن بُعد غورهم ، وجميل تصرفهم ، وصحيح نظرهم ، وكمال معرفتهم.

فمن ذلك قول محمد بن عبد الملك الزيات ، الذي وصفه الجاحظ برقّة الشعر وعذوبته ، ومعرفة الجيد منه ، يُنّوه بقدرة الحسن بن وهب على النظم وإبداعه في البيان :

ثبْتُ البيان إذا تلعثم قائل ... أضحى شكالا للسان المطلق
لم يتبع شُنعَ اللغات ، ولا مشي ... رسف المقيد في حدود المنطق
في هذه خُبث الكلام ، وهذه ... كالسور مضروباً له والخَندَق
يجني جَناةَ النحل في أعلى الرُبا ... زهرا ، ويشرَعُ في الغدير المتأق
أنفَ البلاغة لاكمن هو حائرٌ ... مُترِدِّدٌ في المرتَع المتفرِّق
عَير تفرّقُ إن حداها غيرُه ، ... ومتى يَسقها وادعاً يَستوسق
ينَشَقُّ في ظُلمَ المعاني أن دجت ... منه تباشيرُ الكلام المشرق

ومن ذلك أيضاً قول البحتري يمدح ابن الزيات ويصف محاسنه الشعرية :

لتَفننّتَ في الكتابة حتى ... عطل الناسُ فن عبد الحميد

في نظام من البلاغة ما شـــكٌ أمـــرؤ أنه نظام فريـــد
وبديع كأنه الـــزهَرُ الضـــا حك في رونق الربيع الجديد
ومعانٍ لو ضُمِّنتْها القوافـــي هجَّنت شعر جرول ولبيـــد
حزن مُستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمـــة التعقيـــد
وركبنَ اللفظ القريب فأدركـــــــــن به غاية المراد البعيـــد
مشرقٌ في جوانب السمع ما يُخـــلـقُـــه عودهُ على المستعيـــد

وقد حضر البحتري ذات يوم مجلس أبي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . فقال له : يا أبا عبادة ، أمسلم بن الوليد أشعر أم أبو نواسٍ . فقال له : أبو نواس لأنّه يتصرف في كل طريق ، ويتنوع في كل مذهب ، إن شاء جدّ وإن شاء هزل ، ومسلم يلتزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق مذهباً لا يتخطاه ، فقال أبو عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لايوافقك على هذا . فقال : أيها الأمير هذا ليس من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وإنّما يعرف الشعر من دُفع إلى مضايقه . فقال ورَيَت بك زنادي يا أبا عبادة لقد حكمت في عميك حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق ، فإنه سُئل عنهما ففضل جريراً . فقيل له إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة ، وإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر .

أما اللغويون والنحاة والكتاب والأدباء ، فقد تضمنت أكثر التصانيف من أمهات الكتب الأدبية آراءهم النقدية وملاحظاتهم الفنية الشعرية . فمن الخليل بن أحمد وابن السكيت وابن فارس وابن خالويه والسيرافي ومكي بن أبي طالب وأبي عبد الله المالقي وغيرهم إلى زمرة من الأئمة في مجال الفكر والأدب والكتابة والشعر من أمثال الجاحظ والصاحب وابن العميد والآمدي وابن المعتز وسهل بن مالك وابن عميرة إلى أعلام من صيارفة القول اختصوا بالبلاغة والنقد كعبد القاهر والزمخشري والرازي والسكاكي وقدامة وابن رشيق وابن الأثير وابن سنان الخفاجي ونحوهم . وإن نظرة واحدة في كتبهم وما تضمنته من أقوال شريفة ، ومباحث عالية ، وتحاليل دقيقة ، ومقارنات عجيبة ، لتشهد لهم بعلو المنزلة في هذا المضمار ، وصحّة النظر ، وقوة الحجة ، فيما أبدوه من آراء ، وصدر عنهم من أحكام .

ونحن إلى هذا الحد من الكلام عن النقد والبلاغة لنظل مطمئنين إلى مذاهب العرب

في الشعر ، معتزّين بما في أدب لغتنا من روائع فنية وخصائص جمالية ، حملها أصحاب المواهب إلى العالم ، وحملها العالم عنهم في أشكال مختلفة من الشعر الغنائي والملحمي لم يعرف البشر مثلها حتى جعلوا الشعر سيمى العرب وخاصتهم ، سواء منه المطبوع والمصنوع ، أو المرتجل والمروي ، بحسب الظروف الملابسة للشاعر ، والأطوار التاريخية التي يمر بها ، والإيحاء البيئي المتمثل في البواعث والدوافع الحاملة على قول الشعر ، والتجربة الشخصية التي تمازجها الفطرة وتسندها الملكة .

ومع حصول اليقين بذلك وقيام الشواهد عليه زاحمت الشعر العربي اتجاهات فكرية ، وحاولت التعديل من ضوابطه وأحكامه بعض المذاهب النقدية اليونانية ، وفارقت مناهجَه الأساسية الأصولية مساراتُ النظم الغربية المستحدثة في بلادنا في العصر الحاضر.

فأما الأولى فقد تزعمتها الشعوبية التي نعت على شعراء العربية عفويتهم وارتجالهم في النظم ، مفضلة على خرائدهم كلامَ العجم وأشعارَ الفرس لما فيها من رويّة وإعمال فكر، ولكونها لاتصدر عن أعلام الشعر عندهم إلا بعد طول فكرة واجتهاد رأي ، وطول خلوة ومشاورة ومعاونة ، وجاعلة من محاسن العرب في شعرها عيوبا ، ومن صور الشعر الجاهلي بخاصة نماذج للجمود والسطحية.

وهذا ما لم يقبله أئمة الأدب والنقد في لغتنا ، وعارضه الجاحظ بوصفه للملكات والقدرات الشعرية والبيانية عند العرب قائلاً : " فما هو إلا أن يصرف همه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني ارسالاً ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا . ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحد من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لايتكلّفون . وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ؛ وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلي تحفظ ، ويحتاجوا إلى تدارس. وليس هم كمن حفظ علمَ غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله . فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم من غير تكلف ولاقصد ولاتحفظ ولا طلب . وإن شيئاً هذا الذي في أيدينا جزء منه لبالمقدار الذي لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب " .

وأما الثانية وهي المذاهب الفلسفية اليونانية ، فقد انتشرت في المجتمعات العربية

من طريق الفارابي وابن سينا وابن رشد ، بنقلهم كتاب فنَّ الشعر لأرسطو إلى العربية . ونحن لا نكاد نجزم بتأثر عبد القاهر الجرجاني في آرائه البلاغية ، وقدامة بن جعفر في نظرياته النقدية بالفكر الأرسطي ، وإن زعموا أن صاحب كتاب نقد الشعر قد استوحى بعض الشيء من كتابي الخطابة والشعر للمعلم الأول ، كما أنه لايمكننا الاعتداد في ذلك بعمل الفليسوف الرياضي ابن الهيثم ، وهو رسالته في صناعة الشعر ممتزجة من اليوناني والعربي ، وهي مفقودة ، لعدم وقوفنا على ما يشهد بذلك في كتب البلاغة والنقد قبل القرن السابع .

وقد جاء في آخر ترجمة كتاب أرسطو لابن سينا قوله : " هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول . وقد بقي منه شطر صالح . ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق ، وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان، كلاماً شديدا التحصيل والتفصيل . وأما ها هنا فلنقتصر على هذا المبلغ ".

ولنا في كلام الشيخ الرئيس ملحظان :

أولهما أنّ كتاب فن الشعر يقدمُ وجهة النظر اليونانية في نقد الشعر، وهذا ما لسنا ملزمين به في توجهاتنا ودراساتنا لاختلاف اللغة العربية عن اليونانية ، ولتباين الأذواق واختلاف الفنون الشعرية بين الشعبين اليوناني والعربي .

وثانيهما أنّ في هذه الكلمة القصيرة دعوة للاستفادة من كتاب فن الشعر عند اليونان ، وللأخذ بقوانين النظم التي تضمنتها كتب البلاغة والنقد عند العرب ، توصلاً إلى ما يصلح أن يكون مادة لعلم الشعر المطلق ، وبحسب ما بلغه هذا الفن في عصر ابن سينا من نضج وإمتاع .

وبهذا الاعتبار يكون صاحب منهاج البلغاء هو السياق إلى ذلك ، والناشر للآراء اليونانية النقدية إلى جانب القواعد البلاغية والأحكام النقدية عند العرب . تدل على ذلك شهادات السابقين واللاحقين .

قال الزركشي في معرض حديثه عن فني البيان والبديع من كتاب البرهان : " وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة أجمعها ما جمعه شمس الدين بن النقيب في مقدمة تفسيره ، وما وضعه حازم الأندلسي في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء ".

وقال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور عن المنهاج : " إن حازما بتوجهه إلى العلوم الحكمية يبحث فيه عن موقع البلاغة في طبيعة الإنسان ، وعن الفرق بين الخطابة والشعر، وما يرجع إلى ذلك من ملائمة النفوس ومنافرتها ، ويُرجع المعاني إلى متصوّرات أصيلة ، ومتصوّرات دخيلة ، ويتطلع إلى استخلاص ماهية البلاغة المصطلح عليها في عصر من العصور ، وعند قوم من الأقوام ، من ماهية البلاغة المطلقة ، معتمداً في ذلك على أرسطاطاليس ، ومقتدياً بأبي علي ابن سينا فيما أدخله أبو علي على ذلك من آثار اجتهاده وولائد ابتداعه ، ليجعل موضوع نظره وبحثه وتحصيله وتأصيله البلاغة العربية خاصة لما يوجد في شعر العرب من اختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظاً ومعنى ".

وبما تدل عليه هذه الإشارات ، ويشهد له كتاب المنهاج ، نجد حازماً العالمَ المتمكنَ من فنون البلاغة والنقد جميعاً ، يؤسس مدرسة وينهج طريقة متميزة " إذ كان ، كما قال شيخنا العلامة محمد الفاضل ابن عاشور ، ينفرد عن قافلة علماء البلاغة ، جانحاً إلى طريق النظر الحكمي في موضوعهم ، لينتهي به إلى موقف تأصيل : يُخرج به ما وراء البلاغة من البلاغة كما يَخرج ما وراء الطبيعة من الطبيعة ، بدون أن يأوي إلى قافلة الحكماء ، إذ لا يريد أن يبقي النظريات معلقة غير مطبقة ، ولا أن يتركها مجردة مشاعة بين اللغة العربية واللغات الأخرى ".

وهو بعد إمعان نظرٍ ، ودرسٍ مستقص لوجوه التصرفات القولية في أنحاء الشعر لاينساق مقلداً لأحد ، ولا يعرض عما تأصّل لديه من قوانين البلاغة العربية ، بل يعمد إلى الموازنة بين الشعر اليوناني والعربي ، مستدركاً على قوانين النقد في كتاب فن الشعر قائلاً : " ولو وَجَدَ هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب ، من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظاً ومعنى، وتبحرَهم في أصناف المعاني ، وحسنَ تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها ، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ، ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم ، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا ، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية".

ويكرر المؤقف نفسه عند تفصيله القول في المحاكيات الشعرية التي تعتبر روح الشعر ولبه عند اليونانيين . ولما يراه من اختلاف بين صورها ، وضيق وسعة في تصرفات القول فيها في الأدبين اليوناني والعربي ، يَعد ببحث ذلك بصورة خاصة في الشعر العربي ، إذ

يجب أن يوضع لهذه المحاكيات من القوانين أكثر مما وضعت الأوائل . ويعلل استدراكه هذا بقوله :

" فإن الحكيم أرسطاطاليس ، وإن كان اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ، ونبّه على عظيم منفعته ، وتكلم في قوانين عنه، فإن أشعار اليونانية إنما كانت أغراضاً محدودة في أوزان مخصوصة . ومدار جلّ أشعارهم على خرافات كانوا يضعونها، يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود ، ويجعلون أحاديثها أمثالاً وأمثلة لما وقع في الوجود ، وكانت لهم أيضاً أمثال في أشياء موجودة من أمثال كليلة ودمنة ، ونحو مما ذكره النابغة من حديث الحية وصاحبها ؛ وكانت لهم طريقة أيضاً ، وهي كثيرة في أشعارهم ، يذكرون فيها انتقال أمور الزمان وتصاريفه ، وتنقل الدول وما تجري عليه أحوال الناس وتؤول إليه .

فأما غير هذه الطرق ، فلم يكن لهم فيها كبير تصرّف ، كتشبيه الأشياء بالأشياء. فإن شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه ، وإنما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لافي ذوات الأفعال " .

وبالرغم من موقف حازم هذا في منهاجه ، من صاحب كتاب فنّ الشعر فيما اختلفت فيه الرؤية بين العربي واليونان ، لا نجده يستبعد كل آراء أرسطو ونظرياته ، ويأخذ بالكثير منها ويعمقها ، فينقل عنه في أربعة عشر موضعاً من كتابه مقولاته ونظرياته ، معرفاً الشعر تعريفاً يختلف عن تعريف قدامة له ، فلا يبقى عنده مجرد كلام دال على معنى موزون ومقفى مثلما ذكر ذلك أبو الفرج في كتابه نقد الشعر ، ولكن حقيقته تتطور لديه فتصبح أدق صورة ، وأعمق دلالة على هذا الفن . ومن ثم نجد حازماً يقول في تعريفه : " هو الكلام الموزون المقفى الذي من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكرِّه إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمنه من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها ، أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوة صدقه ، أو قوة شهرته أو لمجموع ذلك . وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب . فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها".

ولإبراز ما تضمنته هذه الجملة الطويلة في تحديد ماهية الشعر ، يفصل صاحب المنهاج القول في محركات الشعر والدوافع إليه ، وضبط موضوعه وبحث أشكاله، غير

غافل عن التماس الصور التطبيقية لقواعده بذكر أمثلة من شعر أبي الطيب ، ذي المعرفة الواسعة بالبلاغة وصاحب التجربة الشعرية الطويلة ، أو بإيراد شواهد يختارها من شعر امرئ القيس وزهير والنابغة مرة ، ومن شعر جرير والفرزدق أخرى ، كما يستشهد أحيانا بشعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري وابن الرومي ، وربما أورد من صور تطبيقاته أبياتاً لأعشى ميمون وابن أبي خازم وابن المعتز وابن الدارج وابن خفاجة .

ولا تنسيه طريقته هذه في العرض استعمال مصطلحات النقاد العرب ، والرجوع إلى ما قرروه في كتب البلاغة والنقد والأدب ، فيتأيّد بمقولات الجاحظ والآمدي وقدامة والخفاجي ، ويناقش بعضها أحياناً ، مضيفاً إليها قوانين البلاغة والنقد التي فصلها بإحكام في أقسام كتابه عند حديثه عن المعاني والمباني والأسلوب .

وهكذا ، بالإضافة إلى ما قدمنا الإشارة إليه من اهتماماته النقدية ، نجده في القسم الثالث من كتابه بعد الحديث عن القطرة والموهبة والطبع والملكة الشعرية ، يقارن بين منازل الشعراء بحسب قواهم الفكرية واهتداءاتهم الخاطرية التي تميز بينهم . ومن خلال بحثه للمباني يتعرّض للأوزان والأعاريض والقوافي في الشعر العربي ، ويقسم البحور إلى بسيطة ومركبة ، ولايقف عند ماضبطه الخليل من ذلك بل يتجاوزه فيقبل المولّد والمستحدث من الأوزان كالدبيتي [1] ، ويظهر إعجابه به قائلاً : " لابأس بالعمل عليه فإنه مستظرف ووضعه متناسب " .

وإثر تقدير مدى إقبال الشعراء على الأوزان الشعرية وتفاوت اعتمادهم لسائرها ، يقسمها بحسب ما يجانس كل واحد منها من أغراض ومعان ، وبحسب ما تقتضيه طبيعة الإيحاء الشعري . فالأوزان ليست على سواء في جواز التصرف فيها وظهور الافتتان بها .

وإلى جانب عنايته بالقافية وإيفائه حقها يلفت نظر الشعراء إلى لزوم بناء أشعارها على أساس مراعاة مقاطع الأبيات وأجزائها الأخيرة . ويتحدث عن التصريع والتحجيل، وعن طرق الإبداع في الاستهلال والتخلصات والاستطرادات ، حتى إذا انتهى إلي الأسلوب بتفصيل القول في الطرق الشعرية ومآخذ الشعراء ، ذكر ضروب الإمداد الشعري والإيحاء ، ومذاهب الشعراء ومآخذهم في النظم ، ليختم ذلك جميعه بتحديد وظيفة نقد الشعر وبيان المنهج المعتمد في المفاضلة بين الشعراء .

---

١) مستفعلتن مستفعلن مفتعلن :

هذا ولهي وقد كتمت أوللها صونا لحديث مَن هوى النفس لها

وإنما كان حازم يفعل ذلك كله ويبذل ما يبذله من جهد للتعريف بنقد الشعر المطلق والشعر العربي بخاصة لسببين اثنين :

أولهما : تدارك ضُعف الملكات في عصره بانصراف الناس عن أصول الصناعة ، وجهلهم بما هيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها وجهات التصرف فيها . وقد صرح بهذه الظاهرة المرضية عند الأدباء في القرن السابع حيث قال : " لم يوجد في شعراء المشرق المتأخرين منذ مائتي عام من نحا نحو الفحول ، ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادي الكلام وإحكام وضعه وانتقاء مواده التي يجب نحته منها ، فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر ودخلوا في محض التكلم . هذا على كثرة المبدعين المتقدمين في الرعيل الأول من قدمائهم والحلبة السابقة زمانا وإحسانا منهم :.

وهو لإصلاح هذا الوضع ، وللرفع من أهمية هذا الفن ، وللفت النظر إلى مختلف الجوانب الجمالية المستقرة في الشعر والمودعة به ، ينبه إلى الطرق الأساسية العربية مضيفاً إليها ما وعاه من قوانين الشعر المطلق في اليونانية وغيرها.

وثانيهما: تلقين الشعراء أصول هذه الصناعة ، وتثبيت قدراتهم ، ورعاية ملكاتهم، والعناية بتثقيف طباعهم ومواهبهم.

ومن يتأمل ما قدمناه من الآراء والنظريات والشواهد والدلائل يجد متمثلاً فيها ، من جهات مختلفة ، الاتجاه الأصولي والوظيفي والتقعيدي للنقد والبلاغة ، وإنما وقع الإلماع إلى ذلك كله من حين إلى آخر في هذا العرض لتتطلب التفصيلات من بعد مظانها ، وإن هذه المناهج البلاغية النقدية لتعيد إلى الذهن مقومات وأصول المدرستين الكلامية والأدبية التي فصل القول فيها الشيخ أمين الخولي في كتابه مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، حيث جعل " الأولى متميزة بالتحديد اللفظي والروح الجدلية، والعناية بالتعريف الصحيح والحرص على القاعدة المحددة مع الإقلال من الشواهد والاعتماد على المقاييس الفلسفية من خلقيات وطبيعيات ونحوها ، وعلى القواعد المنطقية في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه ورداءته " . وذكر مقابلها وهي" الثانية القائمة على الإكثار المسرف من الشواهد الأدبية نثراً وشعراً ، مع الإقلال من التعاريف والقواعد والأقسام ، وعلى الاعتماد في التقويم على الذوق الفني وحاسة الجمال أكثر من الاعتماد على الفلسفات المختلفة والمنطقيات ".

وعلى غرار ما وضعه حازم من قوانين للشعر ، وضَبَطه من قواعد ، محاولاً الإفادة

من مذاهب اليونان مع الحفاظ على الأصالة والالتزام بمقومات هذا الفن عند العرب في القرن السابع ، ظهرت اتجاهات مماثلة مردها امتزاج الثقافات ، وظهور المستشرقين الأولين في هذا المجال في تاريخ الأدب العَربي وفنون القول فيه . فكانت لأمثال مرغوليوث ، ونللينو وبروكلمان وكرنكو وأمثالهم نظريات وأفكار دفعوا إليها نصارى العرب من الأدباء والشعراء ، وحملوا من ورائهم جمهرة من الكتاب العرب والمفكرين على تغيير النظرة إلى البلاغة والإيحاء والتأليف والنظمَ . وهكذا ظهرت في القرن الماضي مدرسة جديدة حملت رايتها زمرة من النقاد والكتاب من بينها :

- نجيب حداد ١٨٩٩ الذي نشر في مجلة البيان لإبراهيم اليازجي مقالا بعنوان : مقابلة بين الشعر العربي والشعر الأفرنجي .

- وروحي الخالدي المقدسي الذي أصدر سنة ١٩٠٤ كتابه : تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب .

- وسليمان البساتي الذي اقترن اسمه بإلياذة هو مبروس وترجمها إلى العربية شعراً ، وقدم لها ببحث طويل ، يعرف بها ويضع الخطة لدراستها والنماذج التي اعتمدها للكشف عن مزايا الشعر ، وتوجيه النظر إلى روائعه .

- وقسطاكي الحمصي الذي نشر له ابتداء من سنة ١٩٠٧ إلي ١٩٣٧ بحلب كتابه : منهل الرواد في علم الانتقاد .

- وكان على إثر هؤلاء جميعاً العقاد والمازني أصحاب الديوان ، وميخائيل نعيمة وكتابه الغربال ، ومحمد حسين هيكل الذي جمع جملة مقلالات في هذا الغرض نشرها في كتابه : ثورة الأدب .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، وتطورَ الشعر في عصرنا الحاضر في شكله وموضوعه ، في منهجه وغايته ، على خط مواز لتطور مذاهب النقاد ومعايير تقويمهم له . وكانت لذلك عدة أسباب أهمّها :

أولا : انتشار مدرسة الاستشراق وظهورها في مختلف البلاد بفرنسا وإيطاليا وبريطانيا وألمانيا وأسبانيا وهولندا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، واستهواؤها لجماهير من المهاجرين العرب والمفكرين .

ثانياً : قيام الجامعات الغربية في مختلف العواصم الفكرية والعلمية التي أصبحت

مراكز استقطاب للطلاب من العرب وغيرهم . وكذلك النوادي الأدبية ، وأجهزة الإعلام المتعددة ، والمهرجانات الشعرية ونحوها خارج البلاد العربية وداخلها .

ثالثاً : ظهور المصطلحات النقدية الأوروبية الأجنبية التي لم تكن معروفة في البلاد العربية ، وصدور الدراسات المتنوعة في الأدب وفي فنون القول وبخاصة الشعر، واعتماد النقاد في كثير من البلاد وحتى العربية على الألسنية ، ونقل الأشعار الغربية وترجمة دواوين أبرز أصحاب هذا الفنِّ إلى اللغة العربية .

رابعاً : اتساع ثقافة النقاد والشعراء جميعاً بما جدّ في هذا العصر ، في أطراف العالم من تيارات فكرية ومذاهب فنية ، وأخذُ رجال النقد بشتى العلوم في الاعتبار عند دراستهم للنصوص الشعرية وإخضاعهم إياها ، ومن كتبَها ، للفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والانتروبولوجيا ونحوها ، ومحاولتُهم ربط هذا الفن وآثاره الجديدة المستحدثة عند العرب بالمدارس الفكرية التي انتشرت كتبها ومقالاتها، وتوفرت نماذجها وروائعها ، وكثرت البحوث القائمة على دراستها وتعليل اتجاهاتها وبيان خصائصها وتطوراتها . وأصبحنا نقرأ شعراً آخر غير الذي تعودناه ، ونجد النقاد بإزائه يضعون كل أثر أدبي في فن الشعر ، في العالم ، بموضعه الذي يليق به ، منسوباً إلى جذوره الأصلية التي ينبع منها في التفكير الأوروبي ، مميزين بين أنماطه وصوره .

فمن كلاسيكي يذكّر بالأصول اليونانية : الملحمة والمأساة والملهاة والأهاجي ، وما تقوم على أساسه هذه الفنون من المحاكاة والتخييل ، وبعمود الشعر وقوالبه وصيغه وأوزانه وقوافيه عند الجاهليين ، ومن سار على غرارهم في العصور الإسلامية الأولى الموالية ، وما تفرع عن هذه وتلك من أصناف قريبة ومشابهة .

ومن رومانطيقي يؤكد صلته بمناهج جوته وشللر وشليجر وتلامذته ، ويشكل فيضا تلقائياً لعواطف قوية .

ومن مذاهب تتجه نحو المثالية تنقل لنا الطبيعة في صورتها الجميلة أو تقدِّمها لنا في روائعها الشعرية مهذبة محسنة منتقاة ، إلى مدارس تفرق بين مصادر الصدق والواجب والجمال عند الشاعر ، وهي العقل والضمير والنفس لديه ، فتشكل المبدأ الشعري المعلن عنه عند آلن أدغاريو . وتَبرُزُ أمثلة ذلك عند هوجو بحسّه المرهف ، ورقّته المميزة ، وإيحاءاته وتلقينه المثل والأخلاق ، وفي الألوان الرمزية التي نظفر بها في شعر مالا رمي.

وهنالك مدارس كثيرة أخرى تنازعها الشعراء وانتسبوا إليها في البلاد العربية وخارجها:

منها مدرسة الاستقباليين الذين يقطعون كل صلة لهم بالماضي ، في ثورة عنيفة ودعوة شديدة إلى المعاصرة والاستقبالية مثل مارينتي .

ومدرسة الإيماجيين من عشاق الصورة مثل هيوم وأزرا بوند .

والمذهب التعبيري الذي كان كما نعتوه : محاولة للهرب من البشاعة والآلام في الحياة ، بالغوص تحت القشرة الظاهرية للأشياء التي تبدو متقلبة تافهة ، بحثاً عن قواعد الوجود وحقائقه الثابتة .

والمدرسة السريالية التي هدفها تغيير الحياة إطلاقاً ، بخلق إنسان جديد يبحث عن الحرية المطلقة من طريق الخيال ، ويثور على الحياة والفنِّ . ومن أعلام هذه المدرسة جماعة " دادا " وأمثال بول إيلوار ، وأرجون ، وبريتون .

والمدرسة الواقعية الجديدة التي تغذت بأفكار ومفهومات ماركس وإنجلز.

وكذلك مدرسة الانعزاليين الذي انحرفوا عن الواقعية متأثيرين بالرمزية والفرودية ، والذين يجدون في أحلامهم ما يصرفهم عن حقائق الوجود ، أو يدعوهم إلى إكتشاف أرض بكر لم تدنسها يد الصناعة ، ولم تزرع بها النظمُ الحضارية شيئاً من المشكلات . وهؤلاء وأولئك يُعنون بالفرد خاصة ، ويحاولون الغوص في أعماق النفس الإنسانية ومسارب اللاشعور . مثل فاليري وبروست وإليوت .

ونحن متى تصورنا ، بناء على ما تقدم ، البيئة الفكرية الجديدة للشاعر العربي ، وما يخضع له فيها من تيارات وتفاعلات مع الأدب العالمي من حوله ، أمكننا أن ندرك بوضوح ، ومن غير استغراب أو دهشة ، المراحل التي مر بها الشعر عندنا في العصر الحاضر ، والخصائص التي تتميز بها المدارس الثلاثة التجديدية والرومانسية والجديدة التي توالت فيه أو تواجدت به .

وقد ظهرت مدرسة التجديد أو المدرسة الإحيائية من أواسط القرن التاسع عشر في المشرق وفي المغرب . وهي باقية إلى اليوم في كثير من الأوساط الأدبية ، لها سلطانها على النفوس ، كما لها مقوماتها التي اعتدنا عليها .

ولعل من أئمة هذه المدرسة البارودي ، الذي إلى جانب ما وضعه من شعر وفاضت به

قريحته من قصائد ، أبى إلا أن يكون على سنن شيخه المرصفي ، ويسيرً على منهج أبي تمام والبحتري ، بجمعه لاختياراته الشعرية ، التي تومئ إلى مذهبه ، والتي يقدمها للمتأدبين في عصره ، حتى يَقْوَوا على النظم ، ويجدوا فيها النماذج الرائعة والأمثلة الرائقة للإبداع الفني في الشعر ، فينهجون منهجها ، ويرعون قوانين الشعر وقواعده ، ويتمثلون فيها السمات الجمالية لهذا الفن ، ويتخلصون بذلك من كل أسباب الضعف ، كما يتخطون العقبات التي تحول بينهم وبين ما بلغه المتقدمون زماناً وإحساناً من شأو في هذا المضمار . والذي يتأكد الانتباه إليه هنا هو أن المدرسة التجديدية التي من أعلامها في المشرق رفاعة الطهطاوي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومَن جرى على طريقتهم ، حافظت أساساً على عمود الشعر القديم ، وتناولت الأغراض التقليدية للنظم في مختلف المناسبات ، ولزمت قوانين البلاغة وصورَ المحاكيات والتمثيل باللفظ المنتقى الأنيق ، والمعنى البديع موشي بأنواع التشبيه والإستعارة والمجاز والكناية ، وبالأوزان المناسبة في نغمها لأغراض الشعر ، وبالقوافي الجيدة التي يتم بها ما يطلب في الشعر ، وخاصة الغنائي من موسيقى وإيقاع .

وقد كانت أشعار هذه المدرسة حماسية وطنية ، عاطفية وجدانية ، اجتماعية أخلاقية ، حتى قال محمود سامي البارودي منوِّها بهذا الاتجاه وبوظيفة الشعر : " لو لم يكن من حسنات الشعر إلا تهذيبُ وتدريب الأفهام ، وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق ، لكان قد بلغ الغاية التي ليس وراءها لذي رغبة مسرح ، وارتبأ الصهوة التي ليس دونها لذي همة مطمح " .

وهي بذلك لم يمسها أي تغيير جذري في بنائها أو موضوعاتها إلا ما كان من استخدام شوقي لشعره استخداماً عجيباً في المسرحيات التي صاغها بروية وإبداع .

أما المدرستان الرومانسية والجديدة فهما مختلفتان عن المدرسة التجديدية ، والثانية منهما أشد اختلافاً عنها وأكثر بعداً منها .

وقد ظهرت الرومانسية في الأول على أيدي شعراء المهجر بأمريكا ، ومن طريق شداة هذا المذهب بالمشرق العربي . وبدأ الشعر الرومانسي يتجه اتجاهه الجديد متأثراً بالشعر الغربي ، وخاصة بالسونيته في الآداب الإنجليزية والفرنسية والإيطالية . وهو مباين في صياغته ومحتواه لما كان عليه الشعر عند العرب في السابق : أكثره مقطعات لا قصائد طوال، يقوم على أوزان مختلفة متغايرة كالموشحات والرُباعيات والمخمسات والمسمطات

والمزاوجات التي تكون بين استخدام البحر كاملاً أو مجزوءاً ، ولا يعتمد القافية في الأكثر ، وربما فارق هذا كله في الشعر المرسل الذي طلع علينا به عبد الرحمن شكري ودعا له . والشعر الرومانسي تعبير عن " الأنا " أي عن الفرد ذاته ، لا يُعنى بالغير ولايقال في المناسبات . وليست أغراضه الأغراض المعروفة المتداولة في الشعر العربي ، ولكنه يتعمق أسرار النفس ، ويتحدث عما يجيش بها . فهو كما قال ميخائيل نعيمة : "تعبير عن حاجتنا إلى الإفصاح عما ينتابُنا من العوامل النفسية من : رجاء ويأس ، وفوز وإخفاق ، وإيمان وشك ، وحب وكره ، ولذة وألم ، وحزن وفرح ، وخوف وطمأنينة ، وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الانفعالات والتأثرات".

وهو أيضاً لا يتخير لمقوماته الجمالية اللفظ الرصين أو الأنيق ، ويبتعد كل البُعد عن المصادر التقليدية في تشكيل صورتة الفنية ، ويحرص على الوحدة العضوية للقصيدة مع مجانية صور المحاكيات التي كَلف بها المتقدمون ، ووضعت من أجلها علوم البلاغة بفنونها المختلفة . ولعل من أجود ما يعبِّر عن هذا المنزع هذا الأنموذج الشعري للمدرسة الرومانسية الذي تقتطعه من شعر على محمود طه :

يا ضفاف النيل بالله ، ويا خضر الروابي
هل رأيتن على النهر فتى غض الإهاب
أسمر الجبهة ، كالخمرة ، في النور المذاب
سابحاً في زورق من صنع أحلام الشباب ؟

إن يكن مرَّ وحيا من بعيد أو قريب
فصفيه ، وأعيدي وصفه ، فهو حبيبي

يا حبيبي هذه ليلة حبي
آه لو شاركتني أفراح قلبي

ووقفة بعد هذا العرض لخصائص ومميزات الشعر المعاصر في المدرستين التجديدة والرومانسية تجعلنا بدون شك نتلمس أواصر القربى بينهما ، وإن اختلفتا في الموضوع بعض الاختلاف ، وتغير الشكل قليلاً في المدرسة الثانية عنه في المدرسة الأولى. وإننا لانعدم مع ذلك المقوّم الأساسي للشعر العربي من الموسيقى والنغم والإيقاع التي يحدثها

البيت وأشطاره وتفاعيله ، ويبرز كاملاً رائعا في القصيدة مع ما تتميز به التجديدية من حفاظ على القافية الخارجية وحتى الداخلية ، ومن العناية بضروب التصريع وأشكال التناسق والتناغم بين أجزاء المنظومة الشعرية .

ولكننا من جهة أخرى نعتبر ما بدا في الشعر الرومانسي من طرافة وتنوع وتأثر بالمناهج المستحدثة في الغرب مدخلاً للمدرسة العصرية الجديدة ، وتمهيداً لظهورها وانتشار آثارها ، عُرف ذلك من عدد من الشعراء مثل توفيق البكري وعبد الرحمن شكري بمصر، وجميل صدقي الزهاوي بالعراق . وإن هذه الفئة الأولى هي التي صنعت الشعر المرسل ووضعت القصيدة النثرية . وهي التي طورت الشعروخرجت به أول ما خرج من مجال النظم إلى مهيع النثر ، حتى فقدَ الطوابع والخصائص النغمية للشعر العربي أو كادت تنمحي فيه امحاء ، فاعتبره العلماء بالشعر وفنونه أجنبياً عما قررته أصول النقد وتعارف عليه أهل الصناعة.

وهذا الشعر بفقدانه للمقومات النغمية الأساسية من مثل القافية التي توحدَ بين كل أبيات القصيدة ، وتُحدث بينها تساوقاً وائتلافا ، تستريح عنده الأذن والنفس .

وبفقدان انقسام أبيات القصيد إلى أشطار حتى لا أبيات ولاأشطار ، ولكنها كتابة في سطور متوالية نقرأ فيها فقرا ومقالة نثرية لامنظومة شعرية .

وفقدان المعادلة النغمية بين تلك السطور ، وورود هذه الصور والرسوم في أشكالها المتعاقبة ، قصيرة وطويلة في القصيدة الواحدة ، متفاوتة القصر والطول ، حتى تنتهي أحياناً إلى كلمة واحدة في السطر الواحد ، تنعدم فيه خاصية الشعر من الإنشاد له والتغني به ، فلا يكون بعد ذلك إلا نصا مقروءا لايحدث في النفس هزة ولاحركة ولا إطراباً .

وقد كتب لهذا الفنِّ الذيوع ، ولهذا الصيحة الجديدة في الشعر أن تغزو أطراف البلاد علي أيدي عدد كبير من الشعراء الجدد أمثال عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وكثير غيرهم . وواجهوا إنكاراً شديداً ومروا أول الأمر بمواقف صعبة جعلتهم يعتذرون ويعللون تغييراتهم بالحرص على الحداثة والجدة في النظم ، وبالبحث عن بناء جديد للقصيدة ، وتجربة غير معطاة ، وجماليات غير مسبقة ، وبمحاولة البلوغ بالشعر المعاصر من حيث الجوهر والتشكيل إلى مستوى الشعر العالمي. وهكذا انتشر هذا اللون

الجديد من الشعر بين الناس عامة في البلاد العربية من منتصف القرن العشرين ، وبخاصة في الستينات ، وأصبحت المجلات والصحف عامرة به ، ناقلة له ، لاتكاد تنشر أدباً آخر أو تهتم بنمط من أنماط الشعر غيره .

وكان أنصار هذه المدرسة يتذرعون له بمبررات مختلفة : منها خلو الشعر اليوناني والروماني منذ القدم من القافية ، وتحرر الشعر الغربي على مر العصور منها ، إلا في صور قليلة وأنماطَ محدودة معينة لديه كالإسكندري بقوافيه المتقابلة في الشعر الفرنسي وكصُور من الشعر الغنائي في الأدب الانجليزي . وإنَّ طبيعة الشعر المرسل المتحرر من القافية لم تُفقد مسرحيات شكسبير الإبداع والامتاع ، كما لم تحُل دون بلوغه الذروة في شعره وفنه ، ومن ثَمّ فهم يساءلون إلى متى يبقى القصيد العربي وحده مغلولا بقيود القافية والوزن ؟! ولم تطلب القافية والنسب الموسيقية المتحدة دائماً في جميع أبيات القصيدة العربية ؟! ولِم الالتزام ، في هذا العصر ، بالتراث العربي القديم وحده ؟ !.

ثم يقررون أن الإيقاع الشعري المتكامل ليس في الحقيقة قيمة ثابتة ذاتية ، وإنما هو قيمة متحولة متغيرة .

وأن التراث لاينبغي أن يكون مقصوراً على مفهومه العتيق عندنا ، ولكنه يحتاج إلى نظرة أوسع تضم إليه تراث الإنسانية كلها ، وموروث الآداب القديمة جميعها من فينيقية ورومانية ويونانية وفارسية وفرعونية ونحوها .

وأن الحداثة لابد أن تتسع اليوم فتشمل كل شيء شعراً كان أو غير شعر لتواكب الحياة وتطوراتِها ، ونكون بحق متجاوبين مع كل ما يجري في عالمنا المعاصر.

ولابدع أن تظهر هذه الاتجاهات بحكم اتساع الثقافة في عصرنا ، وبسبب تعدد التيارات والمناهج الفلسفية والفكرية التي تسيطر على الكتابة والشعراء جميعاً في هذا العالم.

وإنك لتجد الشاعر الآن في آية بقعة من الأرض ، وبأي لسان يترجم عن آرائه ومشاعره ، يُقدم للناس نصوصا جديدة لا يعني فيها بالطبيعة ، ولا يَلهو فيها بالتقنيات والفنيات ، ولا يتحدث عن النفس والفرد ، ولا يتناول الأغراض المحصورة والمواضيع الفرعية ، ولكنه يهتم بالإنسان ، وبقضايا المجتمع ، وبمسيرة العالم .

وهو بهذه الاهتمامات التي يُدمج نفسَه في دخائلها وأعماقها يصبح شعره منظومة

لغوية وبنية فنية ، لا يخضع لمعايير القصيدة القديمة ، ولايتجهُ بها إلى الجماهير. ولكن إلى الخاصة ، مع سعيه الجاد إلى بلوغ مستوى متميز يُقربه من المنهجية العالمية . وهكذا يكون القيام بتجديد مسار الشعر العربي ، وإحداث ثورة فنية حقيقة فيه ، أمراً ضرورياً ولازما في مدرسة الشعر الجديدة ، لكي يعاصر الشعرُ العربي الشعرَ العالمي ، ويكون قادراً على استخدام أدوات تشكيل متطورة وراقية ، تدل على إدراك جديد للفن وللواقع. ومما يعبر عن هذا القصد قول صلاح عبد الصبور في كتابه حياتي في الشعر :

" ليست القصيدة المعاصرة مجموعة من الخواطر أو الصور أو المعلومات ، ولكنها بناء متدامج الأجزاء ، منظمُ تنظيماً صارما ، يومىء بالإرادة العاقلة والحساب الدقيق والوعي اليقظ ... كما يوحي أيضاً بالعفوية والتلقائية " .

وإن هذا النمط من الشعر ليحتاج دون شك إلى نظرة نقدية جديدة في الدراسة ، وإلى محاولة استلهام سمات الأعمال الأدبية فيه من داخلها . وهذه أشياء قد تتطلب جهداً كبيراً وزمنا طويلاً . وصَدق الدكتور إحسان عباس في قوله في نهاية رسالة فن الشعر:

" إن كلَّ صورة منه لهي خلق جديد ، لعلاقات جديدة ، في طريقة جديدة من التعبير ، وكما أن مهمة الشاعر ليست يسيرة ، فإن مهمة الناقد لاتقل عنها عسراً . وهي مهمة تشمل تفسير الجديد ، وإعادة النظر في القديم . وليست هي الاستحسان المؤقت ، ولا هي صرخات الإعجاب أو الاستنكار ، وعسى أن يدرك ذلك النقاد ".

وختاماً فإن هذا عرض خاطر مكدود وزمن ضيق محدود ، بعُدَ الفكر فيه عن مجالات الأدب والنقد بما توفرت عليه الاهتمامات من قضايا لاتمتّ لصناعة الشعر بصلة، أرجو أن يجد لديكم عذراً عن التقصير ، وحسبي أني استجبت طلبكم فتلك غايتي ، وعدت بهذه الإجابة إلى تفقد ما بقي لي من ولوع بعرائس الفكر وخرائد الشعر ونفحات الوجدان .

آثـارنـا والـوعـي

دور الدولة - دور المواطن (*)

د . سعد عبدالعزيز الراشد

أيها الإخوة الكرام جئت هذه الليلة لأتحدث إليكم عن موضوع مهم جداً له صلة بماضينا المجيد وحاضرنا الزاهر ومستقبلنا المشرق ، إن شاء الله تعالى ، وهو أثارنا وتراثنا ، واخترت لموضوعي هذا عنواناً هو « أثارنا والوعي : دور الدولة ، ودور المواطن» . ويحسن بنا في البداية أن نعرف بالآثار فنقول : أنها نتاج نشاط الأفراد والأمم والشعوب منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر ، ويمكن تصنيف الآثار كما يلي :

الآثار الثابتة : وهي البقايا المعمارية من حصون وقصور وأسوار وبوابات وأبراج وبقايا المدن والقرى والمباني الدينية والمدنية والمقابر والكهوف والمغارات والسدود والآبار والبرك والأحواض والعيون والقنوات والمحاجر والمعادن وخلاف ذلك من الآثار الثابتة سواء ما هو بارز فوق سطح الأرض أو محفوظ في باطنها.

الاثار المنقولة : وهي الآثار التي صنعها الإنسان واستخدمها في حياته اليومية في حله وترحاله مثل : الصناعات الفخارية والخزفية والزجاجية والحجرية والحلي وأدوات الزينة وأدوات الصيد والقتال ، والعملات والموازين والمكاييل ، ويدخل في هذا الجانب صناعة الأثاث والملبوسات.

الآثار الثقافية المكتوبة : وهي الكتابات المدونة على الواجهات الصخرية والأحجار والأدوات وعلى الأواني بأشكالها وأنواعها ووظائفها المختلفة وما يتبعها من أدوات الكتابة والحفر . ويدخل في الآثار الصناعات والحرف اليدوية وكل ما له علاقة بالنشاط السكاني والذي ظل متداولاً جيلاً بعد جيل حتى حلَّ مكانه الصناعات والتقنيات الحديثة، الأمر الذي أدى إلى إهمال وتوقف الصناعات والحرف اليدوية سواء كان ذلك فجائياً أو تدريجياً .

* محاضرة ألقيت بنادي أبها الأدبي في ١٢/٢٧ / ١٤١٦هـ

أيها الإخوة الكرام : قد يتساءل البعض عن أهمية الآثار والعناية بها وما هو مردودها ؟ فأقول لقد أصبح هذا الموضوع من الأمور المسلم بها ولم يعد محلاً للإستفسار والحوار . فالآثار مصدر مهم لدراسة التاريخ ومعرفة حضارة الأمم والشعوب وركيزة أساسية لفهم الجذور الحضارية وإنتقالها من موضع إلى آخر وتأثيرها وتأثرها . والجزيرة العربية بصفة عامة ، والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص أرض الحضارات ومهد الرسالات ، كان أخرها رسالة الإسلام التي بعث بها نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والتي ستبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وهناك حضارات سادت ثم بادت وبقيت أسرارها قابعة في باطن الأرض .

لقد حثنا القران الكريم على التدبر والسير في الأرض . قال تعالى : ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ الروم (آية ٩) .

وقال تعالى : ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾ غافر (آية ٢١) .

وقال تعالى : ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾ الأنبياء (آية ١١) .

وقال تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ الحج . آية ٤٥) .

وحدثنا القرآن الكريم عن أمم وشعوب كثيرة وأحداث ، وعبر ، وحروب وأنبياء ورسل ، وأصحاب الأيكة ، وفرعون ذي الأوتاد ، وذي القرنين وقوم تبع وسبأ وغير ذلك من أخبار الأولين.

قال تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل * ذلك جزينهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي بركنا فيها قرى ظهرة وقدرنا فيها

السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن ذلك لأيات لكل صبار شكور ﴾ سبأ (آية ١٥-١٩) .

وحدثنا القرآن عن أمور كثيرة مرتبطة بتاريخ أمتنا الإسلامية بدءاً بنزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين في غار حراء بمكة المكرمة وما واجهه المسلمون من محن وشدائد. والشواهد القرآنية كثيرة منها الهجرة النبوية الشريفة . قال تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا الخ ...﴾ التوبة (آية ٤٠) .

ومعالم معركة بدر الكبرى بينة وواضحة في قوله تعالى : ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في المعياد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾ الأنفال (آية ٤٢) .

أيها الأخوة الحضور إن تاريخ البشرية لم يسجله المؤرخون لعدم توفر المعلومات عن العصور القديمة اللهم إلا ما ذكرته الكتب السماوية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وإذا كانت الآثار والتاريخ يهتمان بتاريخ الإنسان فإن علم التاريخ يعتمد على المادة المكتوبة والرواية وهذا يشكل جزئية محدودة من الوثائق المكتوبة لاتزيد عن واحد في المئة من ماضي الإنسان ، بينما ٩٩٪ من ذلك التاريخ لم يكتب وهذا هو موضوع الآثار . فالدراسات الأثرية توفر مادة علمية لتاريخ الإنسان وحضارته من عمارة وفنون وكتابات وصناعات ومواد أخرى كثيرة كان الإنسان يستخدمها في الماضي ، وتتطلب الدراسات الأثرية تحليل الآثار المكتشفة وتحديد تاريخها بشتى الوسائل الممكنة ثم تقدم للدارسين والباحثين لوضع تلك الإكتشافات في الإطار التاريخي .

واسمحوا لي أيها الأخوة أن استعرض معكم البدايات الأولى لاهتمام قدماء الأدباء والمؤرخين بالآثار . فمن ذلك ما سجله هو ميروس في الملحمتين الشهيرتين الإلياذة والأوديسة واللتين نجد فيهما نبذاً متفرقة من التاريخ الإغريقي القديم خاصة الإشارات إلى المباني الهندسية القديمة ووصفاً للملابس والأثاث والأدوات الجنائزية التي كانت توضع مع المتوفي . ونجد معلومات عن الشعوب القديمة لدى أرسطو في القرن الخامس الميلادي وكذلك عند بليني و« ديودور الصقلي » و « استرابون» .

وجاء الاهتمام بالآثار مع إطلالة عصر النهضة في أوروبا حيث تولدت لدى الناس نزعة شديدة تجاه حضارة العصور القديمة حيث أصبح الإهتمام منصباً على الفنون اليونانية والرومانية وذلك باستخراج الصناعات القديمة من تماثيل وغيرها. وتطور الاهتمام بالآثار خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . ومع إطلالة القرن التاسع عشر توسعت دائرة الاهتمام بالآثار عندما بدأ الإنسان يكتشف حضارات لم تكن معروفة لديه ، أقدم من الحضارات اليونانية والرومانية بقرون عدة ، وبهذا بدأ علم الآثار يسهم في إماطة اللثام عن تواريخ أمم مجهولة وحضارات قديمة وما فيها من تجارب إنسانية كبيرة . ومن تلك الحضارات حضارة مصر والعراق والصين والهند وجزر البحرالأبيض المتوسط وحضارات أمريكا اللاتينية .

وإذا كانت هذه الفترة تمثل حقيقة بدايات التعرف على حضارات قديمة في الشرق الأدنى القديم إلا أنها حقيقة مرة بالنسبة لتلك البلاد فقد كان المجال مفتوحاً أمام الهواة وجامعي التحف في سلب ونهب التحف الأثرية بل كانت أجزاء من مبان ومسلات وتوابيت تنقل بكاملها من مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا وتودع في عواصم أوربا وأمريكا إذا لم يكن لدى شعوب تلك المناطق حول ولاقوة لإيقاف ذلك التعدي ناهيك عن عدم معرفتهم بأهمية تلك التحف والعاديات .

وإذا كان البحث الأثري المنظم والمبني على أسس علمية في أسلوب التنقيب والتحليل والوصف قد جاء متأخراً - فقد سبق ذلك العلم دراسات مهمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحضارات بلاد الشرق الأدنى القديم . وهذا هو علم الكتابات القديمة . فقد كان من نتائج حملة نابليون على مصر اكتشاف حجر رشيد (يونيو ١٧٩٩م) والذي نقشت عليه ثلاث نصوص كتبت بالخط الهيروغليفي (الكتابة المقدسة) والخط الديموطيقي (الكتابة الوطنية) والخط الإغريقي . وعند إكتشاف ذلك الحجر تمكن الفرنسيون من قراءة النص الإغريقي حيث تبين أنه عبارة عن مرسوم لتكريم الملك المصري(بطليموس الخامس) ويؤرخ للفترة ما بين ٢٠٥ - ١٨٠ ق.م ، وبعد ما يقارب من اثنين وعشرين عاماً تمكن العالم الفرنسي (جان فرانسوا شامبليون) من فك رموز الأبجدية المصرية القديمة وقدم نتائج دراساته أمام الأكاديمية الفرنسية في ٢٧ سبتمبر ١٨٢٢م.

لقد شكل هذا الكشف فتحاً جديداً لمعرفة أسرار الحضارة المصرية التي قضى عليها الرومان عندما احتلوا مصر .

وبهذا تمكن العلماء من جمع آلاف النصوص المصرية القديمة المسجلة على واجهات المعابد والمسلات والمنحوتات الجدارية والتحف ، وعرف العالم من تلك الإكتشافات أحوال مصر على مدى حقب تاريخية حوالي أربعة آلاف عام قبل الميلاد . ومن المعلومات التي تمكنوا من التعرف عليها ، لأول مرة ، الأسرات التي حكمت مصر وأسماء الملوك والملكات والأحوال الدينية والإقتصادية والإجتماعية . وتأسست في ضوء هذه الإكتشافات المعاهد والمؤسسات الأكاديمية في مختلف جامعات العالم للعناية بتاريخ مصر القديمة وحضاراتها. وينطبق الأمر كذلك على النقوش المكتشفة في موقع (بهستون) بالقرب من كرمنشاه في إيران والذي كتب بالفارسية القديمة والعيلامية المتأخرة والبابلية وكانت هذه هي البدايات الحقيقية لقراءة الكتابة المسمارية ، وتعود تلك الإكتشافات إلى الفترة ما بين عام ١٨٠٢ و ١٨٣٥م.

ولم تكن الجزيرة العربية بمعزل عن اهتمامات الرحالة الغربيين الذي بدأوا يتوافدون على أجزائها المختلفة مع بدايات ظهور الإمبراطوريات الغربية والصراع فيما بينها على الاحتلال والسيطرة على أجزاء من العالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا ، والسيطرة على الممرات المائية الحيوية ، مثل مداخل البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي وجزر المحيط الهندي ، بغرض تأمين الحاميات البحرية وقوافل التجارة ، ويأتي في مقدمة تلك القوى البرتغاليون الذي تمكنوا في بداية القرن ١٦م من التوغل إلى ساحل البحر العربي والخليج العربي، وامتد نفوذهم إلى الهند وجنوب شرق آسيا وتبعهم في ذلك الهولنديون والفرنسيون والبريطانيون.

وقد وجد الرحالة الغربيون الدعم والتشجيع من دولهم للكشف عن أسرار الجزيرة العربية ، وتنوعت أهدافهم ، منها ما هو لهدف التبشير ومنها ما هو لأغراض سياسية واقتصادية ومنها لأهداف علمية صرفة وحب المغامرة والإكتشاف . ولم يكن لدى الرحالة الأوائل معلومات كافية عن الجزيرة العربية لامن حيث الطبيعة الجغرافية ولا من حيث تركيبتها السكانية ، وكانت المعلومات المتوفرة لديهم مستقاة من روايات هيرودوتس (القرن ٥ق .م) وثيوفراست تلميذ أرسطو والمؤرخ اليوناني ديودور . وتلك المعلومات كانت مبنية على الخيال . فمثلاً يروي هيرودوتس « معلومات طريفة عن شبه الجزيرة العربية ، وأغنامها الغريبة ذات الأليات الدهنية الضخمة وطيوبها الشهيرة : كالبخور والصبر وخيار شنبر ، والقرفة ، والكافور ، واللادن ، ونقل هيرودوتس الروايات التي

سمعها من مصر عن المخاطر التي تعترض سبيل من يقومون بجمع نتاج هذه الطيوب فالأفاعي المجنحة تحمي أشجار البخور ويقتضي إبعادها عنها بالدخان وعلى من يريد جمع خيار شنبر من إحدى البحيرات أن يكسو جسده كلياً بجلود الثيران اتقاء للسعات الحيوانات المجنحة ، ويجني الكافور من وكنات الطيور الجارحة بذبح ثور ونثر لحمه إرباً في أسفل الصخور العالية . فتحمل الطيور حملاً ثقيلاً من اللحم إلى وكناتها فتهوي لثقل الحمل جاعلة العطر الثمين في متناول طالبه ، أما اللادن فيعلق بلحى الماعز فيما هي ترعى الشجيرات التي تحمله » .

على أن المعلومات التي نقلها بعد عصر هيرودوتس كل من (ثيوفراست) (تلميذ أرسطو) والمؤرخ اليوناني (ديودور) و (استرابون) جاءت أكثر واقعية عن الجزيرة العربية وممالكها الجنوبية سبأ ومعين وقتبان.وحضر موت وحواضر تلك الدول ما تميزت به حياتهم من رقي حضاري وثروات اقتصادية ، وكانت تجارتهم تمتد شمالاً مع الأنباط وبلاد الشام ومصر .

كان من أوائل الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية لودفيكو فارتيما (بين سنتي ١٤٧٦و ١٤٩٠م) وكارستن نيبور الذي قدم على رأس بعثة أرسلها ملك الدانمرك بلغ عدد أفرادها ستة أشخاص نزلوا في مرفأ القنفذة في ٢٩ أكتوبر سنة ١٧٦٢م ولم يكتب لخمسة من أعضاء الفريق البقاء على قيد الحياة سوى نيبور وحده الذي سجل رحلة الفريق أما رفاقه فقد هلكوا بسبب الحرارة الشديدة والحمى .

ووصل جوزيف هاليفي إلى اليمن عام ١٨٦٩م مبعوثاً من الأكاديمية الفرنسية لدراسة الكائنات القديمة وتبعه عام ١٨٩٢م الرحالة الإنجليزي وولتر هاريس Walter) Harris) وتوالى بعد ذلك أعداد كثيرة من الرحالة على جنوب جزيرة العرب ووسطها وشمالها حيث توفرت لديهم معلومات قيمة عن مختلف مناحي الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية . وشهدت أرض المملكة العربية السعودية مجيء عدد من الرحالة بعد لودفيكو دي فارتيما ، حيث جاء كل من جوزيف بوتس ، علي بك العباسي ، بوركهارت ، بيرتون، بلجريف ، وداوتي ، وسجل موريس تاميزيه وقائع الحملة التركية على عسير عام ١٨٣٤م بقيادة أحمد باشا وقدم وصفاً جذاباً لجغرافية المنطقة بجبالها الشامخة وأوديتها ومدنها ، ووصف أساليب البناء وبسالة الرجال وقوة بأسهم وتحملهم

للشدائد ، وجوانب مهمة من حياتهم الإجتماعية . ولعل أشهر من أهتم بآثار المملكة العربية السعودية ألويس موزل الذي قام برحلات استكشافية إلى شمال الحجاز ونجد قبيل الحرب العالمية الأولى وكتب مؤلفات ذات فائدة قيمة . وفي السنوات ١٩٠٧ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠م تمكن كل من جوسين وسافيناك وهما راهبان فرنسيان من زيارة العلا ومدائن صالح ووضعا سجلاً حافلاً بالمعلومات عن آثار المنطقة وخاصة الكتابات والنقوش.

وفي عهد الملك عبد العزيز (رحمه الله) تمكن سنت جون فيلبي (عبد الله فيلبي) من القيام برحلات علمية غطت معظم أنحاء المملكة ، وعبر الربع الخالي إلى حضر موت، وكان لرحلا ته وكتاباته أثرها الكبير بالتعريف بأثار المملكة وحضارتها على الصعيد الخارجي . وفي الأعوام ١٩٦٢/١٩٧٢م قامت بعض البعثات العلمية من القيام بأعمال مسحية ودراسات أثرية مثل بعثة ريكمانز وليبنس وفيلبي حيث غطت منطقة واسعة تمتد من جدة إلى نجران ثم جمع مئات من النقوش العربية القديمة والكتابات الإسلامية ، وفي الفترة ذاتها جاءت بعثة جامعة تورنتو برئاسة وينت وريد ثم ألبرت جام وبعثة جامعة لندن حيث تمكنت هذه البعثات من تسجيل عدد من المواقع الأثرية والمعالم التاريخية بالإضافة إلى الكشف عن كتابات ونقوش قديمة .

وفي هذا العرض السريع يجب أن ننوه إلى الأعمال الغزيرة التي كتبها الرعيل الأول من الأدباء والمؤرخين من أبناء المملكة مثل ابن بليهد (رحمه الله) وابن خميس والعقيلي والعبودي وابن جنيدل وعاتق البلادي وغيرهم حيث أسهم كل منهم بالتعريف بالمعالم الجغرافية وتحقيق المواضع التاريخية ، ويأتي في قمة الهرم الشيخ حمد الجاسر الذي تعتبر دراساته وتحقيقاته للتراث العربي الإسلامي رافداً من روافد البحث التاريخي والأثري ، ولاننسى أيضاً الإشارة إلى كتابات عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) عن المدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة وحصره لبعض الآثار والمواقع التاريخية .

وبفضل المعلومات التي جمعها الرحالة الغربيون عن آثار المملكة أخذت المعاهد والمؤسسات العملية المتخصصة في الغرب تعطي الجزيرة العربية بعامة والمملكة العربية السعودية بخاصة حيزاً من الدراسات الأنثروبولوجية والأثرية والحضارية سواء في المراحل الجامعية أو في مجال الدراسات العليا والبحث العلمي .

وعلى الصعيد المحلي الرسمي شعرت الدولة بأهمية الآثار منذ البدايات المبكرة للخطط التنموية ، فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ وتاريخ ١٣٨٣/١١/٨هـ

بإنشاء إدارة للآثار ترتبط بوزارة المعارف ثم صدر المرسوم الملكي رقم م ٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ بالموافقة على نظام الآثار وتشكيل المجلس الأعلى للآثار لتحديد ورسم الخطوط العريضة لنشاط الإدارة والإشراف على منجزاتها . ويتكون نظام الآثار من سبعة وسبعين مادة مقسمة على سبعة فصول تم التعريف فيها بالأعمال التي يضطلع بها المجلس الأعلى للآثار والتعريف بالآثار الثابتة والمنقولة . والإنجاز بالآثار وتصديرها والتنقيب عن الآثار والعقوبات.

وقد حددت المادة الخامسة من النظام التعريف بالأثر على النحو التالي :

« تعتبر آثار المتلكات الثابتة والمنقولة التي بناها أو صنعها أو انتجها أو كيفها أو رسمها الإنسان قبل ٢٠٠ سنة أو تكونت لها خصائص أثرية بفضل عوامل طبيعية قديمة ويجوز لدائرة الآثار أن تعتبر من الآثار أيضاً المتلكات الثابتة أو المنقولة التي ترجع إلى عهد أحدث إذا رأت أن لها خصائص تاريخية أو فنية يصدر بذلك قرارٌ من وزير المعارف بناء على اقتراح من دائرة الآثار » .

كما تنص المادة السادسة من النظام ما يلي :

« تتولى دائرة الآثار بالتعاون مع الأجهزة الأخرى في الدولة كل في اختصاصه للمحافظة على الآثار والمواقع الأثرية كما تتولى تقرير أثرية الأشياء والمباني التاريخية والمواقع الأثرية كما تتولى تقرير أثرية الأشياء والمباني التاريخية والمواقع الأثرية وما يجب تسجيله من آثار ويعني تسجيل أثر ما إقرار الدولة بأهميته التاريخية أو الفنية وعملها على صيانته ودراسته وإظهاره بالمظهر اللائق وفقاً لأحكام هذا النظام » .

ولعل من محاسن الصدف أن يصدر نظام الآثار في عهد الملك فيصل رحمه الله ، وقد كان له نظرة صائبة في أهمية تراث أمتنا وحضارتها فلم يكن يسمح بالمساس بالآثار التاريخية ، ومن مواقفه رحمه الله أنه عندما لاحظ اعتزام وزارة الزراعة على ترميم بعض برك طريق الحج « درب زبيدة » للإستفادة منها للبادية ، وأن الترميم والبناء لتلك البرك فيه إزالة وتشويه للبناء الهندسي القديم وجه تعليماته أنه إذا كان ولابد فعلى وزارة الزراعة إنشاء برك جديدة مجاورة للبرك القديمة .

وبمناسبة إشارتنا إلى اهتمام الملك فيصل رحمه الله بالتراث والحضارة فلعلنا ننقل متقطفات من أقواله التي ضمنها في واحد من خطاباته الهامة :

يقول جلالة الملك فيصل :

« نحن أبناء هذا البلد لنا تراث ، ولنا تاريخ ، ولنا أمجاد ، فيجب علينا أن نتحرى السبل التي توصلنا إلى هذا التاريخ وهذا التراث وهذا المجد ... فها هي السبل واضحة».

ويقول أيضاً :

«نحن لنا أجداد وأمجاد وتاريخ وتراث فلماذا نتنصل من كل هذا ونتلفت يميناً وشمالاً كأننا ليس لنا أصل أو تراث أو تاريخ ونتلمس السبل ونتلمس المناهج ونلتمس المبادئ » .

ويقول رحمه الله :

« نحن تراثنا أشرف تراث ، وتاريخنا أشرف تاريخ وأمتنا خير أمة أخرجت للناس . إنما الذي ينقصنا في ذلك هو أن ندرس هذا التاريخ وهذا التراث»

وعلى أي حال فقد بدأت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بممارسة نشاطها ببطء منذ صدور نظام الآثار ، فقد كان مقرها في قاعة صغيرة الحجم في أحد المباني التابعة لمعهد العاصمة النموذجي بالرياض وكان يعرض بتلك القاعة قطع أثرية محدودة بعضها كان محفوظاً لدى مركز الثروة المعدنية بجدة والبعض الآخر جاء من شركة آرامكو ومن بعض الأفراد .

غير أنه مع بداية الخطط التنموية الشاملة للمملكة في أوائل التسعينات انتقلت الإدارة إلى مقر مستقل مكنها من أداء مهماتها في تسجيل المواقع الأثرية وحمايتها وإنشاء المتاحف وكان من أولى إنجاز هذه الإدارة صدور كتاب مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م وهو أول مطبوع مصور باللغة العربية والإنجليزية يعرف بالآثار في المملكة .

وفي عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م شرعت الإدارة والتي أصبحت فيما بعد وكالة مساعدة للآثار والمتاحف ، في تنفيذ خطة طويلة المدى للمسح الآثاري الشامل لمختلف مناطق المملكة وقد استعانت (الوكالة) بعدد من الخبرات العلمية المتوفرة في الجامعات الأمريكية والأوروبية كان من نتائجه المبكرة إنشاء نواة للمتحف الوطني بالرياض ومن ثم إصدار حوليه الآثار العربية السعودية (أطلال) صدر عددها الأول عام

١٣٩٧هـ/١٩٧٧م حيث ينشر فيها نتائج الدراسات والمسوحات الأثرية لتوفير مادة جديدة للباحثين المهتمين بتاريخ المملكة وحضارتها . وقد وفرت المسوحات الأثرية صورة حقيقة لعمق الإستبطان الحضاري على أرض المملكة منذ فترات ما قبل التاريخ وحتى العصور الإسلامية المتأخرة ويظهر ذلك في الصناعات الحجرية والمواقع الأثرية والكتابات القديمة والنقوش وبقايا المعالم والإنشاءات البنائية القديمة من قصور وحصون وآبار وسدود وبرك ومعثورات متنوعة . كما قامت الوكالة بطبع ونشر عدد من الكتب والملصقات الإعلامية وأفلام تسجيلية وشرائح ملونة عن آثار المملكة .

وعلى مدى ما يقارب العشرين عاماً تم حصر مايربو على أربعة آلاف موقع أثري في مختلف مناطق المملكة ، غير أن المواقع التي أمكن تحديد تواريخها يمكن حصرها فيما يقارب من ألفين وأربعمائة وخمسون (٢٤٥٠) موقعاً أثرياً موزعة على المنطقة الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية والمنطقة الوسطى . ولعل أبرز المواقع الأثرية التي دخلت ضمن هذا الحص آثار العلا ومدائن صالح وتيماء والجوف وآثار ثاج والظهران والهفوف ونجران .

ويضاف إلى ذلك العدد ، مسح لمحطات ومنازل طرق الحج وعدد من القلاع والحصون ناهيك عن مسح لمناطق التعدين القديمة والرسوم الصخرية والكتابات والنقوش وكذلك مسح لبعض المواقع التي تعود لعصور ما قبل التاريخ (Neolithic) العصر النيولوثيكي وعصر البالبوثيك (Paleoloithicage) ودراسة المتحجرات (Palaeontology) حيث تم التعرف على متحجرات من عصر المايوسين التي يمكن تاريخها ما بين ١٨ إلى ٢١ مليون سنة وقد تم التعرف من خلال موقع سرار بالمنطقة الشرقية على متحجرات لعظام حيوانية لما يشبه الزرافات والماستودون وهو حيوان يشبه الفيل وعظام الغزلان والدايناصور وحيوانات أخرى ، مما يدلل على وجود مروج خضراء وغابات كانت متوفرة في تلك الحقب البعيدة وأصبحت الآن صحاري جافة .

كما تم توثيق ما يقارب من ألف ومائتي موقع تشتمل على عشرات الآلاف من الرسوم الصخرية لأشكال أدمية وحيوانية ورسوم البادية وكتابات ونقوش قديمة وإسلامية.

وقد واكب عملية المسح الأثري إجراء بعض الحفريات والمجسات والحفر الإختبارية. وفي هذا الشأن لا ننسى نشاط الحفر الأثري التطبيقي الذي يقوم به قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود في موقعي قرية الفاو والربذة حيث أثمرت تلك الحفريات الكشف عن

أنماط معمارية دينية ومدنية ومرافق عامة بالإضافة إلى الصناعات الخشبية والرسوم والكتابات ، وجميعها يوضح الصورة الحضارية التي شهدتها أرض المملكة العربية السعودية في عصر ما قبل الإسلام بالنسبة للفاو والفترة الإسلامية المبكرة بالنسبة للربذة.

ويجب التنوية بالدور الريادي لجامعة الملك سعود في تطوير الدراسات الأثرية بداء من مواد قليلة كان تدرس لشعبة الآثار في قسم التاريخ وحتى إنشاء قسم للآثار والمتاحف الذي توسعت خططه الدراسية لتشمل مرحلة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وقد قام القسم منذ مرحلة مبكرة بتوجيه مبتعثيه للدراسة في عدد من الجامعات الأوروبية والأمريكية بهدف تنويع المشارب العلمية كما أن دراسات المبتعثين انصبت على مواضيع مختارة من آثار المملكة وأصبح لدينا ثروة معرفية عن آثار المملكة وتراثها الحضاري . وإذا كان من كلمة شكر نوجهها في هذا العرض فهي مقدمة لعالم الآثار الأول في المملكة العربية السعودية وهو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري الذي قاد النشاط الأثري في المملكة من خلال عمله بالجامعة تدريباً وتطبيقاً عملياً ، وكان لرحلاته الكثيرة ومحاضراته العديدة في ربوع الوطن الأثر الفاعل في توعية المواطنين بأهمية الآثار والتراث وسنرى قريباً إن شاء الله ثمرة جهوده المتواصلة في حفائر قرية الفاو .

ومن خلال مسيرة البحث الأثري في المملكة يمكن القول أنه بأمكاننا الآن فهم آثار بلادنا إعتماداً على المسوحات الأثرية والحفائر الأثرية المحدودة التي وضعت لنا إطاراً عاماً للثقافات القديمة بشكل متسلسل ابتداءاً من عصر الإنسان القديم مروراً بالتطور الحضاري لثقافة ما قبل التاريخ والزراعة المبكرة وقيام مستوطنات عصر الكتابة في فترة تعود إلى حوالي ٥٠٠٠ - ٤٠٠٠ سنة ق .م.

وأمكن العثور على المراحل المبكرة لفترة الإستيطان لعصر النيولثيكي على حواف الصحاري مثل صحراء الربع الخالي والنفوذ والدهناء . وتطورت مراحل الإستيطان في هذه المرحلة بمختلف أرجاء البلاد حيث ظهرت المجتمعات المنظمة المثقفة ذات كيانات سياسية ودينية واجتماعية وثقافية وهو ما يمكن أن نطلق عليه عصر الممالك العربية . فبالإضافة إلى المكتشفات المعمارية فقد تم تسجيل آلاف النقوش العربية القديمة مثل خط المسند الشمالي والجنوبي والنقوش الثمودية والصفوية والنبطية والرسوم الصخرية . ولعل

الدراسات المستقبلية من قبل المختصين ستزيد من معارفنا عن جذور تلك الكتابات من حيث النشأة والتطور .

ومن المهمات التي تضطلع بها وكالة الآثار والمتاحف ترميم المباني التاريخية سواء ترميماً وقائياً أو شاملاً . وعلى سبيل المثال لا الحصر مشروع ترميم مدينة الدرعية القديمة وقصر المصمك بالرياض ومسجد إبراهيم بالهفوف وبيت نصيف في جدة وبرج الشنانة بالقصيم وعدد من المباني التاريخية المنتشرة في أنحاء المملكة ، كالقلاع والحصون والمساجد . وهناك في الواقع مئات المباني التاريخية في بلادنا الواسعة بحاجة إلى الحفاظ عليها وترميمها والإستفادة منها كمتاحف أو استخدامها بنفس وظائفها السابقة . غير أن هذه مسئولية كبيرة يصعب على الوكالة بمفردها تحمل ذلك بدون مساعدة الأجهزة الحكومية الأخرى .

إن ما نشاهده اليوم من حركة وبناء وتطوير في مختلف مناحي الحياة واتساع المدن أصبح يهدد اندثار المواقع الأثرية ولذا فقد تم وضع خطة لتسوير عدد من المواقع الأثرية الكبيرة الحجم للمحافظة عليها من الإزالة وقد بلغ عدد المواقع المسورة ما يقارب مائتي موقع . ومع ذلك فإن هذه المواقع لا زالت عرضة للتعدي والتخريب.

إن العمل الأثري لايمكن أن يبرز بدون التوسع في إنشاء المتاحف والنشر العلمي . فالمتحف هو مرآة المجتمع تتجسد فيه حضارة الأمة عبر الحقب التاريخية التي مرت بها ويقدم المعلومات التاريخية والحضارية من خلال المكتشفات الأثرية الثابتة والمنقولة . وللمتحف رسالة تربوية وعلمية واجتماعية وثقافية ولذا فقد بدأ نشاط الإدارة العامة للآثار والمتاحف بإنشاء المتحف الوطني للآثار والتراث الشعبي بصفة مؤقتة في موقعه الحالي . وبالرغم من صغر المساحة التي يحتلها لكنه أدى دوره العلمي والتربوي منذ تأسيسه حيث أمد الباحثين والدارسين والمواطنين بمعلومات جيدة عن تاريخ وحضارة المملكة منذ أقدم العصور وحتى العصر الحاضر .

ونأمل عما قريب إن شاء الله أن نشهد البدء في إقامة المتحف الوطني في قلب مدينة الرياض بالقرب من قصر الملك عبد العزيز المشهور باسم « المربع » وسيكون القصر لأهميته التاريخية واجهة المتحف ونأمل أن يكون المتحف مركزاً ثقافياً يبرز للعالم تاريخ المملكة وحضارتها ودورها الريادي في مواكبة ركب الحضار في هذا العصر ويوضح عظمة هذه الأمة في رعايتها للحضارة الإسلامية وخدمة الإسلام والمسلمين .

وإيماناً بأهمية المنشآت التاريخية المرتبطة بوحدة بلادنا فقد تم ترميم حصن المصمك وتحويله إلى متحف تاريخي يحكي بداية توحيد المملكة على يد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) كذلك قامت الوكالة بتحويل جزء من قصر خزام بمدينة جدة إلى متحف إقليمي تعرض فيه عينات من المكتشفات الأثرية ولمحات من تاريخ المملكة آملين أن نتمكن مستقبلاً من ترميم مجمع قصر خزام بكامله ليكون مركزاً ثقافياً وتراثياً يتناسب مع أهمية جدة وموقعها المميز . وقد تم ترميم وتأثيث قصر شبرا بالطائف ليصبح متحفاً إقليماً للتراث والحضارة كما تم تشييد عدد من المتاحف المحلية بالقرب من المواقع الأثرية في كل من : نجران وجيزان والعلا وتيماء ودومة الجندل والهفوف .

وهناك دراسات قائمة الآن لاستخدام بعض المباني التاريخية بعد ترميمها لتصبح متاحف للآثار والحضارة الإسلامية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وتبوك .

وقد أوشكت الدراسات الإستشارية على الإنتهاء من تصاميم إنشاء متحفين في وادي الدواسر والقصيم .

إن المملكة العربية السعودية بمساحتها الواسعة وثراء تراثها وتاريخها حرية أن تكون فيها متاحف في كل منطقة ومحافظة وقرية . وبالرغم من توفر النية والطموحات إلا أنه بمقارنة ما يجري في الدول الأخرى البعيدة والقريبة فإننا لا نزال في مراحل مبكرة ليس فقط في بناء المتاحف بل في النشاط الأثري والسياحي .

ومن باب المقارنة والمعرفة فقد وصل عدد أهم وأشهر المتاحف في أوروبا الغربية فقط خمسة عشر ألف متحف جاء نصيب بريطانيا من هذا العدد ما يزيد على أربعة آلاف متحف . وفي الولايات المتحدة الأمريكية يزيد عدد المتاحف فيها عن عشرة آلاف متحف.

وقد أصبحت المتاحف ركيزة أساسية في الإقتصاد والسياحة أخذين في الإعتبار الدور التربوي والتثقيفي للمتحف لما يخدم الطفل والأسرة والباحثين المتخصصين . والجميع يعرف أهمية التراث الإسلامي الباقي في أسبانيا وإبداع الحضارة الإسلامية في الأندلس ونتيجة لأهميته فإن أسبانيا تستقطب سنوياً ما يربو على ٤٠ مليون زائر للإطلاع على ما خلفته الحضارة الإسلامية في تلك البلاد وزيارة المتاحف التاريخية المنتشرة في كل مدينة .

ولذلك فإن المتاحف والآثار هي مفتاح صناعة السياحة في الدول المتطورة ، وتوفر

السياحة وظائف لآلاف العاملين في هذا المجال وينطبق هذا الأمر على السياحة في محيطنا العربي في مصر والأردن التي تشكل أثارها التاريخية العمود الفقري للسياحة حيث يتعرف ملايين الزوار على معالم خالدة في بلاد الشرق الأدنى القديم .

والمملكة العربية السعودية مهد الحضارات القديمة وقد منّ الله تعالى عليها بأن جعل فيها الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وتنعم ولله الحمد بالأمن والطمأنينة وتحققت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله إنجازات حضارية من تعليم وصناعة وزراعة وصحة وطرق ومطارات وخدمات ومرافق متطورة كثيرة ويضاف إلى هذا كله تنوع التضاريس والطبيعة في المملكة حيث الجبال العالية والسهول والأودية والسواحل والجزر والصحاري وفي كل مكان يشاهد المرء شيئاً من ماضي بلادنا المجيد وحضارتها الزاهرة ، كل ذلك يجعل منها بلداً للسياحة الوطنية يتعرف من خلالها المواطن على أجزاء من بلاده وجوانب مشرقة من آثار وحضارة الماضي .

وكما ذكرنا أننا على الصعيد الرسمي بالنسبة لدراسة الآثار وإنشاء المتاحف لانزال في بداية الطريق فإن هذا مقرون بأمور كثيرة منها تعزيز مكانة الهيئة المسئولة عن الأثار والتراث ، بالمال والرجال ، واستقلالية العمل ، وتأكيد دورها واحترامها في المجتمع ، وتسهيل مهماتها المنوطة بها سواء من قبل المؤسسات الحكومية الأخرى أو القطاع الخاص والأفراد على حد سواء .

والقطاع الخاص والأفراد لهم وعليهم مسئولية كبيرة في المحافظة على تراثنا الحضاري من ترميم وصيانة وتمويل للدراسات العلمية وطباعة البحوث ، فالمجال مفتوح أمام الجميع . وللمعلومية فإن الأعداد الكثيرة من المتاحف المنتشرة في أوروبا جاءت بفضل إسهامات الوجهاء والتجار والمؤسسات الخاصة والهبات التي تبرع بها الأفراد سواء بالمال أو بإهداء مقتنياتهم الخاصة من تحف ووثائق وأملاك خاصة أو بتحويل منازلهم وقصورهم وما جاورها من حدائق وخدمات لتصبح متاحف ومراكز ثقافية ، كما أن المتاحف ودور الثقافة تؤسس بمبادرة من المجتمع نفسه ويؤسس لها صناديق للتمويل للإنفاق عليها بإشراف المؤسسات الرسمية . ونحن متأكدون أن الوجهاء والأعيان في بلادنا يهمهم الحفاظ على تراث وحضارة هذه الأمة وتاريخها البعيد والقريب .

ولانشك أن تعاون المواطن هو الأساس في المحافظة على الآثار والتراث الحضاري في

كل بقعة من بقاع بلادنا وهذا ما يتميز به المواطن السعودي ولله الحمد فهو المعين بعد الله في منع تشويه الآثار وتخريبها وإزالتها.

غير أننا نلاحظ بعض ضعاف النفوس قد سيطر عليهم الهوس بالعبث بالآثار من مبان قائمة أو مواقع أثرية أو علامات طرق ومغارات وكهوف ونقوش كتابية ورسوم صخرية في سبيل البحث عن كنوز ، ويقع بعضهم في حبائل ومكائد أعداء البلاد الذين يتسترون خلف المواطنين السذج فيدلونهم على بعض المعالم الحضارية فيعمدون إلى تخريبها وإزالتها بحثاً في اعتقادهم عن المعادن الثمينة وهذا ما نسميهم « بصائدي الكنوز » وقد تبين لنا وللمسئولين في الدولة حجم التعديات خاصة في القلاع الإسلامية الواقعة على طريق الحج في شمال غرب المملكة ، وقد يلجأ البعض منهم إلى السحرة والعرافين أو من يدعون المعرفة لإعانتهم على تحديد مواقع الكنوز . وهذه الأعمال تؤدي بمرتكبيها في نهاية الأمر إلى الوقوع في قبضة رجال الأمن حيث ينفذ فيهم ما تنصه عليه اللوائح والحق العام للدولة وبعضهم يعرض نفسه للمخاطر حيث تكون نهايته في كثير من الأحيان الهلاك كأن تسقط عليه صخرة أو جدار أو تنهال عليه كومة من الرمال أو ينقض عليه حيوان مفترس أو أفعى سامة وهو في غفلة من أمره . كما يخشى على آثارنا أن تجد طريقها إلى خارج الحدود بتسهيلات من ضعاف النفوس من المواطنين . وقد يكون الهدف أبعد من ذلك وهو إزالة هوية المملكة الحضارية وطمس معالم الإستطيان فيها ومحو حضارة الإسلام . كما أن غزو الآثار المزيفة المنقولة إلى الداخل أصبح ظاهرة في بلادنا ويلجأ مهربو تلك الآثار إلى حيل شتى في تأكيد قدم الأثر وأهميته فيسرفون في المحافظة عليه بأن يحفظ في صفائح وعلب مكسوة بالديباج لتشويق هواة التحف لشرائها وقد يعرضها على بعض المسئولين فيحيلها لجهة الإختصاص فيكتشف له مدى زيفها وكثير من تلك الآثار المزيفة يعثر عليها رجال الجمارك ونقاط التفتيش وكل هذا الأمر فيه إشغال للجهات الرسمية ومضيعة للوقت الذي نحن بأمس الحاجة إليه لنتوجه نحو العمل الأثري الصحيح . ولهذا فإن المواطن عليه مسئولية كبيرة للمحافظة على آثار بلادنا وحضارتها.

أيها الأخوة هذه إشارات وخواطر عامة حاولنا عرضها بدون إسهاب أو إطالة أبرزنا فيها أهمية الآثار وتراث أمتنا وهو إرث حضاري تركه الإنسان الذي عاش على هذه الأرض منذ أقدم العصور وتوارثته وأضافت عليه أمم وشعوب ودول في حقب متعاقبة

وقرون متتابعة حتى عصرنا الحاضر . فحري بنا جميعاً أن نحافظ على آثارنا من الضياع وأن نستفيد منها العبرة والإعتبار فهي مصدر مهم لكتابة تاريخ هذه الأمة .

لقد بقيت الآثار بمختلف أزمانها وعصورها من قصور وحصون وسدود وغير ذلك من الآثار في حالة سليمة من عوادي الزمن وعبث العابثين من السكان ولكننا نجد اليوم من أهل عصرنا من بادية وحاضرة يعبثون بهذه الآثار النادرة ويخربونها ، ويطمسون معالمها وهذا تاريخ حي ينطق وبطمسه تختفي الحقائق .

إجتاز القاضي أبو يعلي المعري بلدة شياث ظاهرة معرة النعمان والناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعاً آخر فقال :

مررت برسم في شياث فراعني ... به زجل الأحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما ... رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
أتتلفها شلت يمينك خلها ... لمعتبر أو زائر أو مسائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ... ولم أر أحلى من حديث المنازل

ويقول أبو العلاء المعري في سقط الزند :

صاح .. هذي قبورنا تملأ الرحب ... فأين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ، فما أظن أديم الأرض ... إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد ... هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويداً ... لا إختيالاً على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحكٍ من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... في طويل الأزمان والآباد

ويقول فروخ مولى آل المنكدر :

يموت قوم فيحي العلم ذكرهم ... والجهل يلحق أمواتاً بأحياء

وشاعر آخر يقول

جمال ذي الأرض كانـــوا في الحيـــاة وهــم

بعـــد الممـــات جمـــال الكتــب والسيـــر

وهذا ابن الرومي يؤكد أهمية الآثار في قوله :

وإذا لم تـــدر ما قـــوم مضـــــوا   فأســـأل الآثـــار واستنـب الديـــارا

ونختم بقوله تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ . الإسراء (آية ٧٠)

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

مراجع مختارة

(١) أحمد فخري ، بين آثار العالم العربي ، (مكتبة الأنجلو المصرية) ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

(٢) أحمد وصفي زكريا ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، (دار الفكر) دمشق ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

(٣) الإدارة العامة للآثار والمتاحف : مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

(٤) أطلال : حولية الآثار العربية السعودية (عدد ١ - ١٣) (١٣٩٧ - ١٤١١هـ / ١٩٧٧- ١٩٩٠م).

(٥) جاكلين بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة قدري قلعجي ، تقديم حمد الجاسر ، (دار الكتاب العربي) ، بيروت ، (د.ت) .

(٦) روبن بدول ، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ، ترجمة عبد الله آدم نصيف ، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، (د.م.ط) .

(٧) عبد الرحمن الطيب الأنصاري (وآخرون) ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية : مصادر الجزيرة العربية ، جزءان ، جامعة الملك سعود ، (الرياض سابقاً) ، ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م) .

(٨) عبد الرحمن الطيب الأنصاري (وآخرون)، دراسات في الآثار ، الكتاب الأول ، (بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود) ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٩) عبد القدوس الأنصاري ، بنو سليم ، (مطابع دار العلم للملايين) ، بيروت ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

(١٠) عبد القدوس الأنصاري ، بين التاريخ والآثار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧١م.

(١١) علي حسن ، الموجز في علم الآثار ، (دار النهضة العربية) ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

(١٢) يوسف محمد عبد الله ، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره : بحوث ومقالات ، (دار الفكر المعاصر) ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م

(١٣) فتحي عفيفي بدوي ، علم الآثار مفهومه ومهامه ومراحل تطوره التاريخي ، (مطبعة حسان) ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

(١٤) المنهل : الأثر والآثار (العدد السنوي المتخصص) مجلد ٤٨ ، (رمضان وشوال ١٤٠٧هـ / ١٩٧١م)

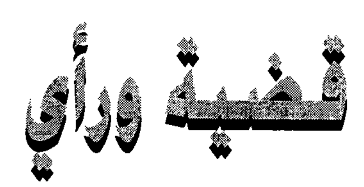
(15) Abdullah H. Masry , " Notes on the Recent Archaelolgical Activeties in the Kingdom of Saudi Arabia , (Proceedings of the Seminar for Arabian Studies) Vol, 7 , 1977, PP. 112 - 119.

(16) Edward bacon , Archaeology Discoveries in 1960s, (Cassell - London,) 1971.

(17) Kennethe Hudson & Ann Nicholls , The Cambridge Guide to the Museums of Europe , (Cambrige Unitvercity press), 1991.

(18) Magnus Magnuson , Introducing Archaeology , (The Bodley Head (L td.) London , 1977.

(19) The Offical Museum Directory , 1984 (The American Association of Museums AAM. National Register Publishing (Co . Inc . 1983) .


قضية ورأي

(١)

تربية عالمية شاملة

د . عبد الله هادي القحطاني

يمر العالم أجمع في هذا العصر بانفجار معلوماتي لا حدود له، كما تعيش الشعوب إنفتاحاً ثقافياً لا عهد لها به ، بل لم يمض على كوكبنا حقبة في تاريخه كادت تختفي فيه الحواجز الثقافية والجغرافية مثل زماننا هذا ، فلم تعهد بلادنا هذا التمازج العجيب من الألوان واللغات والشعوب على أرضه وبين أبنائه ، فلا تكاد تخلو قرية نائية من أجناس متنوعة من الوافدين وفي شتى المهن ، لذا فلا غرابة أن يكون لهؤلاء الأقوام القادمين بثقافات وعادات وعقائد شتى تأثير مباشر على من يتعامل معهم .

فمع هذا الانفتاح الاجتماعي والعرقي يتزامن انفتاح ثقافي وحضاري وتقوم وسائل الإعلام بدور كبير في توسيع نطاقه وإثراء مصادره فلم تعد الإذاعة والصحيفة اليومية المصدرين الوحيدين لنقل الثقافات والأخبار ، بل لقد أصبح العالم أجمع وكأنه قرية صغيرة يعلم الجيران ما يجرى في بيوتها وطرق معيشة أصحابها ، بل حتى طرائق طبخهم وأساليب تزويقهم لبيوتهم ، وربما تأثرت طباعهم وأخلاقياتهم ، ويرجع ذلك للتطور المطّرد في وسائل نقل الخبر والثقافة ، حتى أصبح آنياً محطماً بذلك حاجز الزمن منقولاً بالصوت والصورة . لذا فإن مثل هذه البيئة العالمية المتداخلة المؤثرات والمتفاوتة القيم تستوجب تربية إسلامية عالمية جادة تنشئ المسلم الصالح وتعي تحديات العصر ومؤثراته .

فالمسلمون يتميزون على كل شعوب الأرض بصفاء العقيدة وأهلية القيادة ومسئولية الدعوة . كما أن العالم من حولنا مليء بالعقائد والأديان والأفكار التي أقل ما يطلق عليها أنها تتعارض مع مسلّمات المسلمين ومبادئهم . ولو بقي الأمر حيادياً لكان هينا ، ولكن تلك المبادئ والعقائد المنحرفة تطمح أن يكون لهاموطن قوة وانتشار بين المسلمين ، وترى لنفسها أهلية العالمية وأحقية النفوذ ، لذا فالتربية الإسلامية يناط بها دور جد خطير في شق سبل الهداية الربانية للجيل المسلم ليرقى بمسئولياته ،

ليس تجاه نفسه ومجتمعه فحسب ، بل تجاه العالم أجمع . فالتربية الإسلامية بمفهومها الشامل لاتقف عند بلد ، ولايحدها اختلاف لغة أو لون ، بل هي الوحيدة القادرة على التأثير العالمي الفعال ، وزرع روح جديدة من خلال هذا الانفتاح الثقافي الكبير. أما ان تقوقعت هذه التربية الرشيدة وتخلت عن دورها ، أزاحتها الأسس التربوية والمشروعات الثقافية غير المؤهلة لحمل راية التنشئة الفكرية؛ وذلك لأن الأخيرة من نتائج البشر وكل ما يقدمه البشر معقود بناصيته الخطأ ، وترتبط بقلة العلم وبعده عن الكمال . يقول تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (١) وما التساقط المطّرد للفلسفات الاجتماعية والتربوية إلا دليل على تخبط الأفكار والنظريات البشرية وحاجتها الملحة للتربية الإسلامية الواعية الشاملة لكل مناحي الحياة ، فالتربية الإسلامية هي الحياة بكل مسئولياتها وتشعب مشاغلها.

– هي العلم ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ﴾ (٢) .

– هي الأخلاق (لا تحاسدوا ، ولا تخابثوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولايبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لايظلمه، ولايخذله ، ولايحقره ...) الحديث (٣) .

– هي الإعلام والدعوة ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ (٤) .

– هي الحياة الأسرية الراقية " أكمل المسلمين أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم " (٥) .

– هي المجتمع الفاضل (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٦) .

– هي العدل والمساواة ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (٧) وباختصار فإن التربية الإسلامية هي مفتاح الحياة وباب السعادة .

وكي يكون لهذه التربية الرشيدة فعاليتها، ولكي تنتج ثمارها النضرة ، لابد أن تؤخذ بشموليتها ، حتى لاتكون شوهاء مجزّأه ، فالتربية الإسلامية هي الوحيدة القادرة

على التعامل مع هذا الإنتاج الحضاري العالمي تعاملاً جاداً معتدلا ، يأخذ في الاعتبار شتى العوامل وكافة المتغيرات ، وهي الأساس لمجتمع عالمي راقٍ .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (٨) .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾ (٩) .

إن شمولية التربية الإسلامية تتمثل في هدفها ، ألا وهو إخراج الإنسان الصالح السوي . الإنسان على إطلاقه ، بمعناه الشامل بجوهره الكامن في أعماقه (١٠) بينما كل الفلسفات التربوية الأخرى تسعى لإعداد المواطن الصالح وفقاً لمعايير تلك الفلسفات. لذلك فإن كل فلسفة تربوية تتغير في مفهومها للمواطن الصالح وفقاً لمعاييرها الفكرية ومصالحها القومية وبقعة الأرض التي يعيش عليها ذلك الإنسان ، بينما الإنسان الصالح في مفهوم التربية الإسلامية العالمية الشاملة ثابت ثبوت مبادئها وأسسها ، فالإنسان الصالح في الصين لايختلف عنه في البرازيل، كما أن الإنسان الصالح في موسكو لايختلف عنه في مكة ، ويتمثل هذا الصلاح في قوله تعالى واصفاً لذلك الإنسان الصالح أينما كان وحيثما حل :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ (١١) .

فالتربية الإسلامية في مفاهيمها وأهدافها أكثر شمولية وعالمية من كل تلك التي تطرح بين الفينة والأخرى ، فما تكاد تخبو حتى تأتي أخرى على أنقاضها ، لتهدم أسس سابقتها وتبني هي صرحها الجديد .

﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أدّركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفا من النار ﴾ (١٢) .

لكن التربية الإسلامية ليست شعاراً نتغنى به ، ولا نشيداً نطرب لسماعه ، بل تربية جادة تتطلب تكافل الجهود وتكاتف الأطراف المختلفة ، فشموليتها الفكرية وعالميتها التطبيقية تستوجب مشاركة كافة أجهزة المجتمع وكل مؤسساته للنهوض بجيل متميز يعي دوره في الحياة ، قادر على تحمل مسؤولياته ليكون إنساناً صالحاً يفوح عطره بأزاهير تلك التربية ليس في الحياة الفانية بل في الباقية أيضاً .

" إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (١٣) .

لذا فإن من يرد مورداً عذباً واحداً تصفو فطرته وتزكو سريرته، أما من اختلطت عليه الموارد وتفرقت به السبل ، فلا بد أن يحيا تائها في هذه الحياة ، ولايقين لديه فيما بعدها ، حاله كحال من يقول :

لا أعرف من أين أتيت ، ولكن وجدت أمامي طريقاً فمشيت إلى أين ؟ .... لاأدري...

لكن الإنسان الصالح الذي هو نتاج لتلك التربية الإسلامية العالمية الشاملة يعرف الإجابة لأن لديه المنهج والنبراس الذي يدله على الصواب ، فهو لايمشي أعمى على غير بصيرة .

﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ (١٤) .

وختاماً ، فإن التربية في نظر الإسلام نظام شامل لم تعرف البشرية في تاريخها نظاماً بهذه السعة والشمول والعالمية ، حيث لاتدع الإنسان دون دليل أو منهج لحظة من حياته ؛ لأنها الحياة .

الهوامش

(١) الإسراء :٨٥.

(٢) العلق : ١ -٥ .

(٣) صحيح مسلم (١١/٨)

(٤) فصلت : ٣٣.

(٥) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح (الترمذي ٣٦٧/٤) .

(٦)

(٧) الحجرات : ١٣.

(٨) البقرة : ١٤٣.

(٩) آل عمران : ١١٠.

(١٠) محمد المقبل ، الأولاد وتربيتهم في الإسلام ٢٩.

(١١) فصلت : ٣٠.

(١٢) الأعراف : ٣٨ .

(١٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، (باب الوالدين بعد موتهم ، ص ٢٥) ، أخرجه مسلم في الصحيح (كتاب الوصية ، ص ١٤) وأحمد في المسند ، بلفظ " إذا مات الإنسان .. الحديث "

(١٤) الأنعام : ١٢٢.

(٢)

التربية التي نريد

د . علي خالد مضوي

مقدمة:

التربية وسيلة هامة من وسائل التغيير - وهي أكثر فعالية من القانون الذي يرهبه الناس والذي يُستخدم لتغيير سلوك البشر رغباً ورهباً .. وهي تحركهم من الداخل وتضمن انضباطهم في عالم السر والنوايا [١] عندما يبتعدون عن دائرة طائلة القانون... وهي تدفعهم إلى الأمام وترفعهم وتزكيهم في اتجاه التضحية ونكران الذات فيرتفعون إلى درجات عليا في سلم الكمال البشري .

ومن خلال التربية تُحقق الحياة الإسلامية على مستوى الفرد والمجتمع فيعيش الإنسان المسلم مستسلما لشرائع الله في جميع جوانب حياته ، مستضيئاً في ذلك بالهدى القرآني : ﴿ قل إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ [٢]. ومن خلال التربية الإسلامية يؤهل الفرد المسلم لعبادة الله حق عبادته ، كما يؤهل لأداء أمانة الاستخلاف في الأرض ، ويؤهل للنجاح في الاختبار في حياته الدنيا . وهذه الغايات الثلاث إنما هي في الواقع من الغايات الكبرى لوجود الإنسان في الأرض على حسب ماقرره الله سبحانه وتعالى وأوحى به إلى رسوله الكريم ﷺ . قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسدفيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [٥].

ومن خلال التربية يصاغ الإنسان المسلم على القيم والمثل التي جاء بها الإسلام، وتُنمى طاقاته وتُحشد، وتوجّه في اتجاه إيجابي فيعمر الأرض عمارة مادية وأخلاقية وينشر هُدى الله بالحسنى في أرجاء الأرض .

والإنسان المربى والمدرب ، الذي هو ثمرة التربية ، عنصر هام في الاقتصاد وفي البناء المعنوي والمادي للمجتمع في أي ثقافة من الثقافات ...

لكل ذلك ، عندما بُعث محمد رسول الله ﷺ وهو يحمل رسالة السماء ليُحدث تغييراً كبيراً وانقلاباً هائلاً في واقع الناس بُعث مربّياً ومعلماً وأكّد في دعوته على الأخلاق وعلى أهمية العلم الشرعي والعلم المادي اللذين هما سببان مهمان من أسباب قوة المسلم وعزته بعد توكله على الله واستعانته به.

قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ..﴾ (٧) . وقال تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (٨) وقال رسول اللهﷺ : « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٩) .

والقوة المادية التي هي نتاج العلم المادي والقوة الأخلاقية التي هي ثمرة الاتصال بالله وطاعته ، وذروة القوة التي تكون في شكل تأييد الله ونصره (١٠) وتأتي مع تمام التوكل على الله وشدة الإيمان به .. هؤلاء جميعاً إنما هم في الواقع ثمرة التربية الإسلامية ويكوّنون سنداً وعونا للإنسان المسلم في أداء مهمته الضخمة التي ناءت بها السموات والأرض والجبال .. وهي مهمة الاستخلاف على الأرض وبنائها مادياً وأخلاقياً وفقاً لإرادة الله وهديه ..

الحياة التي نريد :

لّما كانت التربية وسيلة ، فلابد من تحديد الغاية التي تُستخدم التربية كوسيلة لبلوغها. ونحن كمسلمين مستسلمين لأمر الله وشرائعه لا نريد إلا الحياة التي أرادها الله للناس مُعتصمين في ذلك بالذكر الذي أنزله الله وحدد فيه معالم تلك الحياة ونهى عن الإعراض عنها والتعلق بالحياة المادية والإخلاد إليها . قال تعالى : ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ (١١) وقال تعالى : ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ (١٢).

مواصفات الحياة التي نريد :

الحياة التي أرادها الله للناس ، والحياة التي نريد هي تلك التي تتحقق فيها

الأوصاف التالية :

(١) هي الحياة التي تتحقق فيها مقاصد الله من خلق الإنسان لعبادته ، ومن استخلافه في الأرض ليبنيها ويعمرها . وهي أيضاً الحياة التي يُكفل فيها للإنسان قدر من حرية الإرادة فيستطيع أن يحدد خياراته إزاء الابتلاءات التي يُواجه بها في حياته الدنيا ، وبذلك تُهيأ له الفرصة ليستسلم لله طوعاً في حياته الأخلاقية والاجتماعية كما استسلم له كرها في حياته البيولوجية فيرتفع ويتزكى بذلك ...

(٢) ومن مواصفات الحياة التي أرادها الله للإنسان والتي نريد ، أنها تلك التي تُحقق فيها الكفاية المادية باستثمار القوة المادية في السموات والأرض وتسخيرها لخدمة الإنسان - وإنها هي كذلك الحياة التي تحقق فيها عدالة التوزيع كل حسب عمله وللفقراء حسب حاجاتهم امتثالاً لما أمر الله به من زكاة وصدقات لسد حاجة المحتاجين.

قال تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾[١٣] وقال تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها.. ﴾ [١٤].

(٣) كذلك من مواصفات الحياة التي نريد أنها الحياة التي يتقدم ويتطور فيها العلم الطبيعي ويُستفاد من تطبيقاته في الصناعة والاقتصاد وعلم الحرب ليكون مصدر قوة ورفاهية للمسلمين .

(٤) ومن مواصفات الحياة التي نريد أنها الحياة التي يُركز فيها على الإيمان بالله والاتصال به كمصدر للقوة العظمى وغير المادية .. ومن مواصفاتها كذلك أن الإنسان المؤمن فيها يكون قوياً عزيزاً بإيمانه ، مؤثراً في الحياة قائداً لها. قال تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [١٥] الحياة التي نريد هي إذن الحياة الإسلامية، ومن مظاهرها الاستسلام لله والعبادة الحقة له وذلك بالخضوع الكامل لله في جمع جوانب الحياة .

ومن مظاهر الحياة الإسلامية التي يكون فيها الاستسلام كاملاً لله كذلك أن يتواصل بناء الأرض وعمارتها في الاتجاه الذي يرضي الله بلا إسراف وبلا تدمير لعناصر المادة أو تبذير لها .. ومن مظاهرها أيضاً يكون البناء الأخلاقي الذي

يتناسق مع ما أمر الله به من معروف وخير .. فيرتفع الإنسان ويتزكى ولا يفسد في الأرض .

التربية التي نريد :

التربية التي نريد هي التي يُعد فيها الإنسان ليحيا الحياة الإسلامية، وليكون عنصراً فاعلاً في تحقيقها - فلا يُكتفى في التربية التي نريد فقط بتدريب الأفراد ليكسبوا العيش ويساهموا في بناء الحياة المادية ويقوموا بأداء الواجبات الدينية التقليدية ؛ لأنهم قد يقومون بفعل ذلك بشكل خارجي مظهري خالٍ من روح العبادة الحقة مع كونهم سلبيين تماماً في اتجاه إقامة الحياة الإسلامية في واقع الحياة بما يُحقق عزة المسلمين وقدرتهم على توجيه قافلة الإنسانية وردها إلى الله سبحانه وتعالى . بناء على كل ذلك ، نستطيع أن نقول : إن التربية التي نريد كمسلمين لها مواصفات محددة .

مواصفات التربية التي نريد :

(١) من مواصفاتها أنها تُنسب إلى العقيدة الإسلامية ولاتُنسب إلى إقليم جغرافي أو جنس من الأجناس البشرية .. فلا معنى للحديث عن التربية العربية أو الإفريقية مثلاً .. لأن القيم والمُثل التي تشتمل عليها التربية بالضرورة في هذه الحالة تؤخذ من المثل الإسلامية الكلية وليس من أفضلية العرب كجنس أو انتمائهم إلى مساحة من الأرض لها مزايا مادية مُعينة .. وهذا ليس بدعاً إذ إن النظام التربوي في أي ثقافة من الثقافات يعكس عقيدة الأمة ويكون تابعاً لفلسفة الحياة (١٦) .

ومن مواصفات التربية التي نريد كذلك أنها تهدف نهائياً إلى إيجاد الإنسان المسلم والمجتمع المسلم ، فتتضافر جميع المؤسسات التربوية لتحقيق هذا الهدف ولا تُلقى بآثارها تربوية متعارضة .. وأيضاً من مواصفاتها أنها تهدف إلى إعداد الإنسان المسلم ليستوفي شروط خلافته في الأرض وتؤهله ليبنيها ويعمّرها ، كما تعده ليحيا حياته الحقيقية في الآخرة (١٧) ...

(٢) من مواصفات التربية التي نريد كذلك أنها تشتمل بجانب العناصر العقيدية على عناصر علمية مجردة يُهتم فيها بالعلوم الطبيعية والتكنولوجية وعناصر الثقافة الإنسانية المحايدة بحيث ينفتح المسلمون على غيرهم وينقلون من غيرهم أساسيات

وتطبيقات العلوم الطبيعية مع التركيز على تطويرها وتطويعها لقيمهم وثقافتهم المحلية .

(٣) أيضاً من مواصفات التربية التي نريد أنها تعد الإنسان المسلم ليكون جزءاً من نسيج الأمة الإسلامية الذي تتضافر فيه قوى المسلمين وتتحد لتكوّن قوة هائلة قادرة بعون الله للانتصار لدين الله جديرة بقيادة البشرية في اتجاه بناء عالم جديد يكون فيه الدين كله لله فيسود العدل ويتوارى الكفر والظُّلم .

(٤) كذلك من مواصفات التربية التي نريد أن خريج نظمها ليس شخصاً حاملاً لمعارف محّددة ومتقناً لبعض المهارات ولكنه غير ملتزم للعقيدة الإسلامية، وإنما هو شخص بالدرجة الأولى صيغت شخصيته وفقاً للقيم الإسلامية وحشدت همته في اتجاه التمكين لدين الله وتحقيق سيادته سبحانه في كامل جوانب الحياة في هذه الأرض .

(٥) ومن مواصفات التربية التي نريد أنها ليست محايدة من الناحية العقيدية على شاكلة التعليم المدني الذي أسس في بعض بلاد المسلمين في فترة الاستعمار وإنما هي ملتزمة تماماً في جانبها الفلسفي للعقيدة الإسلامية بحيث يكون خريج نظمها شخصاً قد استطاع أن يخرج من ضيق اهتمامات نفسه الصغيرة إلى سعة انتماء العقيدة الذي يربطه بالسماء ويتجاوز به حدود عُمره الفاني القصير.

الحواشي

(١) تُعدّ النوايا أمراً مهماً في الإسلام ، ويُربى الفرد المسلم ليكون نظيفاً في سريرته ، لقول الله تعالى : ﴿وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ..﴾ البقرة ، الآية ٢٨٤ - ولحديث الرسول الكريم ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " . صحيح مسلم ، باب كتاب الإمارة .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٦٢.

(٣) سورة الذاريات ، الآية ٥٦.

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٠.

(٥) سورة الملك ، الآية ٢ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ٦٠.

(٧) سورة محمد ، الآية ٧.

(٨) سورة الأنفال ، الآية ١٠.

(٩) مسند الإمام أحمد ، الجزء الثالث .

(١٠) الإشارة هنا إلى الآية : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده..﴾ سورة آل عمران ، الآية ١٦٠.

(١١) سورة النجم ، الآية ٢٩.

(١٢) سورة يونس ، الآية ٧.

(١٣) سورة الجمعة ، الآية ١٠.

(١٤) سورة التوبة ، الآية ٦٠.

(١٥) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩.

(١٦) علي خالد مضوى ، أخلاقيات مهنة التعليم ، دراسات تربوية ، مجلة كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، مج ٢ - (١٩٨٥م) ، ٢٤٧-٢٦٥.

(١٧) الإشارة هنا إلى الآية : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ سورة العنكبوت الآية ٦٤.

(٣)

الحاسوب الذي نريد في المدرسة

د . محمد بن عبد الله آل ناجي

لقد عرف الإنسان أنواعاً مختلفة من التقنية منذ آلاف السنين ، وكان لاختراعها آثار إيجابية وأخرى سلبية على حياته إلا أن تقنية الحاسوب تختلف عن سابقتها من حيث الأساس فهي مفتاح لكثير من علوم المستقبل ، كما أن ما تحدثه من تحولات هامة في الوقت الحاضر يشبه إلى حد كبير التحول الذي أحدثته الثورة الصناعية في الماضي ، حيث تغيرت معظم مناحي الحياة قبل أن يدرك الناس ذلك التغيير. والمدرسة كأهم المؤسسات القائمة في المجتمع تحاول استغلال الجانب البناء من التقنيات المعاصرة . إلا أن تطبيقات تقنية الحاسوب تواجه المدرسة والمهتمين بالتربية بمشاكل وفرص فريدة . فاستخدام الحاسوب في المدرسة يثير العديد من القضايا التي ليست بطبيعتها قضايا علمية أو تكنولوجية فحسب كما يعتقد الكثير من الناس ، بل هي قضايا فلسفية، وتربوية ، ونفسية ، وسياسية ، وأخلاقية بالإضافة إلى علاقتها بالفنون والعلوم الإنسانية الأخرى . وهنا يكمن الاختلاف الجوهري بين تقنية الحاسوب وأنواع التقنيات الأخرى التي عرفها الإنسان عبر العصور والأزمان المختلفة .

من الملاحظ عند توفر تقنية جديدة مثل اختراع السيارات أو الطباعة أو غيرهما فإنه سرعان ما ينتشر أثر هذه التقنية على المجتمع كله ، كمثال لذلك تأثير الطباعة وتوفر الكتاب لاحقاً على المجتمع ، حيث جعلت الطباعة التعلم للجميع أمراً ممكناً ، كما قللت من أهمية الحفظ عن ظهر قلب والاعتماد على الاسترجاع في التعلم. ثم ظهر اختراع التلفاز والفيديو والذي أثر على ثقافة الكتب والطباعة حين كثرت وظهرت ثقافة الرؤية في فترة قصيرة من الزمن . ويحتمل أن تؤثر تقنية الحاسوب وشبكات الاتصال الالكتروني على العملية التربوية بشكل مماثل ، ويجب علينا أن ننتبه لهذه الآثار عند التفكير في إعادة هيكلة المدرسة .

وحيث إننا نعيش الآن عصر المعلومات ، فقد أدى استخدام الحاسوب في المدارس

التي دخلها إلى تغيير الفصل الدراسي في المدرسة سواءً كان نحو الأفضل أم الأسوأ ومن سوء الحظ فهناك الكثير من الأشياء المجهولة لدى معظمنا عن هذا الوضع الجديد. وهذا الجهل من غير شك موجود عند المدرسين في المدارس وغيرهم من الذين لم تستهوهم فكرة التفاعل مع الحاسوب ، وعند دخول الحاسوب إلى الفصل الدراسي بشكل أوسع في مجتمعنا السعودي فسوف يكون هناك بعض التغيرات المرغوبة وغير المرغوبة ، بعضه يمكن توقعه وبعض التغيير لايمكننا توقعه ، إلا إننا متأكدون من شيء واحد وهو أننا مالم نكن على علم بتأثير هذه الآلة ، فإن مياه التغيير العارمة ستلفظنا خارجاً إلى الشاطئ .

وقبل أن يبدأ المعلم بالنظر إلي كيفية استخدام الحاسوب ، فمن المستحسن أن ينظر أولا إلى التغيير الذي يحدثه في المؤسسات الاجتماعية التي غزاها بما فيها المدرسة ، ويجب ألا ينصب جهدنا فقط على البقاء وردود الأفعال ، بل يجب أن يكون بمقدورنا السيطرة على هذه الآلة من خلال القيام بالخيارات المناسبة المبنية على المعرفة ، والقيام بالتطبيقات الجديدة لهذا العلم ، مما يدخل الحس المتعقل لدى المربي إلى مجال الآلة . ويمكن أن تكون البداية الحسنة في النظر إلى كيفية تأثير الحاسوب على العالم والمجتمعات التي غزاها وكيف يمكن له أن يساعد في خلق فرص جديدة لتطوير العملية التعليمية في مؤسساتنا التربوية .

يلاحظ أن تقنية الحاسوب واستخداماته التعليمية في المجتمعات التي غزاها بشكل واسع بدأت برضى عن الذات ، ثم تطورت إلى نقد ، ولاشك أن المبالغة في أي من هذين الاتجاهين يمنع التكامل في العملية التربوية ، فالتقدم يحتاج إلى قدر من الشك وقدر من اليقين . لقد أخفق التلفاز والفيديو في إعطاء الطفل دور الفرد المساهم ، ولكن الحاسوب يحاول التفاعل مع المتعلم، ولا مجال الآن عند الكتابة والتحدث عن استخدام الحاسوب في العملية التعليمية للادعاءات المبالغ فيها في حين أن الوضع التربوي يتغير بشكل دائم .

ولاشك أنه بعد فترة من النقد الحاد للحاسوب فلابد من العودة إلى الاعتدال ، فالنقد الجدي والحاسوبات يحتاج بعضها إلى بعض . لقد قال الناقدون كلمتهم ، ولابد من القول بأن الحاسوب والتلفاز هي أشياء من واقعنا الآن، والواقع يتغير بالسرعة التي تتغير بها التكنولوجيا التي تحدده إن بعض الشك هو موقف بناء ، ولكن المبالغة فيه تقتل وسيلة تربوية جديدة قبل أن تعطى فرصة لتحقيق ما يمكن لها أن تحققه .

والأثر التربوي للحاسوب آت جزئياً سواء من الآلة ذاتها (الأجهزة Hardware) أو من البرمجيات (Software) أو من شعبية الحاسوب في المجتمع، وسوف تظهر فكرة المعلمين عن الحاسوب بجلاء عند استخدامهم له في المدرسة بشكل كبير وبعد فترة من الزمن ، وفي التحليل النهائي ، يجب أن يكون المدرس هو الذي يقرر متى وأين وكيف يستخدم الحاسوب في التعليم ؟. إن المدرس هو من يعايش الحاسوب في المدرسة يوما بيوم ، وهو الذي يدرك آثاره وهو أول من يقوم بفحص نتائج تطبيقه . وقد يكون الحاسوب دافعاً وراء فحص عملية التعليم داخل المدرسة التي افترضنا أنها تسير في مدارسنا بشكل حسن . ومهما كانت عناصر الواقع والخيال ، فإن الحاسوب سيكون قد قام بدور كبير إذا جعلنا نتفحص العملية التعليمية داخل المدرسة . فتاريخ التكنولوجيا والتعليم مملوء بالاستقطابات والتراجعات والتناقضات .

لابد لنا أن ندرك أن استخدام تقنية الحاسوب في المدرسة لاتُعدّ من باب قرع الطبول لإصلاح التربية ، بل لها دور فعال في عملية التربية ذاتها . وهنا يرى المعنيون بالتقنية وأهميتها أن الحاسوب قادر على حل جميع المشاكل بما فيها المشاكل التربوية ، وهذا مبني على الافتراض القائل بأن التقنية يجب أن تستخدم بسبب كونها أمرا ممكنا . إلا أنه يجب التأكيد على أن أي اهتمام جدى بما قد تسفر عنه تقنية الحاسوب يجب ألا يترك جانباً في سبيل الجري وراء الظهور بمظهر مواكبة التكنولوجيا . ففي المستقبل القريب كما في الحاضر يبقى الإنسان محور التجربة التربوية ومن أجل تعليم الطلاب الذين يخطون طريقهم في بحور المعارف الواسعة يجب أن نستخدم كل قوانا الإنسانية والقوى غير الإنسانية كذلك ، وإذا كان للحاسوب دور في هذا فلا بأس من توسيع استخداماته، ولكن يجب أن لايخلط بين تعليم الأجيال وبين تقديس الآلة بغية بيع الحاسوبات الصغيرة.

(٤)

(التربية التي نريد)

د . رجب عليوه علي

ما أحوج العالم أجمع إلى التربية الصحيحة ذات القواعد السليمة والأسس المتينة. ولرجال التربية قديمهم وحديثهم مذاهب شتى ومشارب مختلفة في التربية ، ولاتنجو هذه المذاهب وتلك المشارب من تغيير وتبديل ، ولا تسلم من نقد وتجريح ، ولا غرابة في هذا فالفكر البشري مهما أوتي من نضارة فلن يصل إلى الكمال المطلق أبداً .

ولسنا مغالين إذا قلنا : إن هناك مصدراً واحداً للتربية لايعتريه نقص ولايعتوره اضطراب ، ذلك المصدر هو (القرآن الكريم) الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولكن هل لهذا المصدر السليم من نصيب موفور في تفكير رجال التربية المسلمين؟ نستطيع أن نقولها : لا . مغلطة مكررة ، فما لهم والقرآن ؟ إنهم لايزالون على موائد التربية الغربية يلتقطون فتاتها ، ويتخطفون بقاياها ..

والحق أننا نظلم القرآن الكريم حين نقرأ منه آيات الإنذار فترتعد فرائصنا وترتجف أفئدتنا ، دون أن نستشف من هذه و تلك التربية القويمة والتوجيه السليم، والتي تقيم صرح التربية الإسلامية البديلة عن فكر الغرب الصليبي ، وفلسفة الشرق الماركسي .

فمما لاريب فيه أن كتاب الله يفيض بالتربية التي تهدف إلى تكوين الشخصية السليمة ، وإيجاد العناصر الرئيسية التي تتكون منها ، وتكون ذات أثر بارز في حياتها ، وجوانب مهمة في وجودها ، وطابع خاص يهب لها إجلال الناس وتقديرهم.

والعناصر المطلوبة لتكوين الشخصية السليمة ، يجب أن تكون عناصر طيبة تلتقي جميعها عند نقطة ارتكاز واحدة هي الفضائل ، والواقع أنه ليس للفضائل نهاية ؛ لأنها أكبر من أن تحصر ، ولكن يمكن تمييزها بأنها كل فعل فعلته فأرضيت فيه ربك ، واطمأن إليه قلبك ، واستراح له ضميرك ، ونلت به حب الناس وإعجابهم وتقدير المجتمع وثناءه.

ولايكفي لتكوين الشخصية السليمة أن تكون مطبوعة على حب الفضائل ، بل لابد أن تكون مطبوعة أيضاً على كراهية الرذائل بشتى صورها . والقرآن الكريم حرص في تربيته على أن يكون تكوين الشخصية السليمة كاملاً ، فلم يكتف بالدعوة إلى الفضائل ، بل نفر بجانب ذلك من الرذائل ، وإن كان يطلق عليها - أي الفضائل والرذائل - تارة الخير والشر ، وتارة البر والإثم ، وتارة ثالثة الخبيث والطيب ، وهذا التعدد سر من أسرار بلاغته .

﴿ وَلِكُلٍ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِيها ، فَاسْتَبِقُوا الخيراتِ ﴾ سورة البقرة ١٤٨.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلىَ البرِ والتَّقْوى وَلاَ تَعَاونُوا عَلىَ الإثمْ والعُدوَانِ ﴾ المائدة ٢.

﴿ قُل لاَّ يَستَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ، وَلَوْ أعْجَبَكَ كَثرَةُ الخَبيثِ﴾ المائدة ١٠٠

﴿ وَذَروُا ظَاهِرِ الإثمْ وَبَاطنهُ ، إنَّ الذينَ يَكسبُونَ الإثم سَيُجْزوَن بِما كَانُوا يَقترِفُونَ﴾ الأنعام ١٢٠.

﴿ أمْ حَسبَ الذينَ اجْتَرَحُوا السَّيئاتِ أنَ نَّجعَلَهُم كالذِينَ ءامنُوا وَعَمِلواُ الصَّالِحَاتِ سَوَآء محْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُم ، سَاءَ مَا يَحكُمُونَ ﴾ الجاثية ٢١ .

﴿ لِيَجزي الذِينَ أساءوا بِمَا عَمِلواُ ، وَيَجزِي الذِينَ أحسنُوا بالحُسنىَ ﴾ النجم ٣١.

وهكذا نجد أن آيات القران من أولها إلى آخرها ، دستور شامل للتربية الصحيحة والتوجيه السليم ، وهذا ما حدا بالمستشرق الأجنبي (كارليل) أن يقول " إن الإحساسات الصادقة الشريفة ، والنيات الطاهرة الكريمة تظهر لي فضل القرآن الكريم ، الفضل الذي هو أول وآخر فضل وجد في كتاب ونتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها ».

- ولقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بتربية الأمم ، يسددها في خطواتها ويقومها في اتجاهاتها ، ويمكن أن تعدّ تربيته للأمة الإسلامية نموذجاً صالحاً لتربية الأمم اليوم .

- فقد اهتم بتربيتها على الأخوة المؤسسة على التضامن والمودة والاتحاد والتعاون والصفاء والإيثار .

﴿ وَ المُؤْمِنُونَ وَ المُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أولِيَاءُ بَعض ، يَأمُرُونَ بالمعْرُوف وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ﴾ التوبة ٧١. ﴿ إنَمَا المُومِنُونَ إخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم ﴾ الحجرات ١٠.

- وسما بها عن المواقف التي تجر إلى النزاع ، وتزرع في قلوبها الشقاق ، حتى تظل قوية البنيان ثابتة الأركان .

﴿ يَا أَيُهَا الذِينَ ءَامَنُوا اجتَنبُوا كثيراً مِنَ الظَّنّ * إنَ بَعضَ الظَّنِ إثم * ولاَتَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعضُكُم بَعضاً ﴾ الحجرات ١٢.

- واهتم بتربية الأمة الإسلامية على العزة والحرية والنفور من الذلة و العبودية مهما كان الثمن . ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ وَلِلمُؤْمِنِينَ ﴾ المنافقون ٨.

- وحثها على الظهور بمظهر القوة وعلى الاستعداد للمفاجآت حتى تظل مهيبة الجانب، لاتنال دولة طاغية ذرة من عزتها أو حريتها ، أو تعتدي على جانب من كرامتها.

﴿ وَأَعدُّوا لَهُم مَّا استَطعتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّه وَعدُوَكُمْ ﴾ الأنفال ٦٠.

- واهتم بتربيتها على الرجولة والشهامة وعدم مواطأة الأعداء ، وعدم التودد إليهم ؛ لأن ذلك يمهد الطريق إلى استعبادها ووقوعها في هوة الذلة والمسكنة .

﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتّخِذُوا عَدوِي وَعَدوَكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِليهم بالمَوَدَةَ * وقد كَفرُوا بِما جَاءَكُم مِنَ الحَقِ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنَ تُؤمِنُوا بِاللَّه رَبِكُمْ ﴾ الممتحنة ١.

- واهتم بتربيتها على المغامرة ؛ لأنها من عوامل تقدمها وإنهاضها ومن أسباب عزتها ورفعتها .

﴿ وَمَن يُهَاجِرِ فِي سَبِيلِ اللَّه يَجِدْ فِي الأَرْضَ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾ النساء ١٠٠.

- واهتم بتربيتها على الصبر والمصابرة خلال المحنة ؛ لأن فيها صقلاً لتكوينها وتركيزاً لحياتها ، وتثبيتاً لوجودها ، وإعزازاً لشأنها ، وصونا لقدرها .

﴿ وَلَنبلُوَنّكُم بِشَيءٍ مِن الخَوفِ وَالجُوعِ وَنَقصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُس وَ الثَّمرات وَبَشر الصابِرِينَ الَّذِينَ إذا أَصابتهُم مُصِيبَة قَالُوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعُون ،أولئكَ عَلَيهِمْ صَلَواتٌ مِن ربِّهِمْ وَرَحمةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهتَدونَ ﴾ البقرة ١٥٥.

- واهتم بتربيتها على العدل حتى لا يصيبها الاضطراب في شؤونها.

﴿ وَإِذَا حَكَمتُم بَينَ النَّاسِ أَنَ تَحكُمُوا بالعَدْلِ * إنَّ اللَّهَ نِعما يَعِظُكُم بِهِ * إنَّ اللّه كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ النساء ٥٨.

- واهتم بتربيتها على الوفاء بالعهد لأنه من ألزم الصفات للأمم التي تبغي حياة كريمة مهيبة . ﴿ وَأوفُوا بعَهْدِ اللّه إذا عَاهَدتُمْ ولاَ تَنقُضُوا الأيمانَ بَعْدَ تَوكيدها وَقد جَعَلْتُمُ اللّه عليكُمْ كفيلاً إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تفْعلُونَ ﴾ النحل ٩١.

- وحذرها من الغدر والبغي والعدوان والبطر ؛ لأنها من عوامل انهيار الأمم

﴿ إلاَّ الذينَ عَاهَدتم مِنَ الْمُشركِين ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيئاً ، ولَمْ يَظَاهِروا عَلَيكُمْ أحَداً فأتِموا إليْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ ، إنَّ اللَّهَ يُحبُ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة ٤.

﴿ إنَّما بَغْيُكَمْ عَلَى أنفُسِكُم ﴾يونس ٢٣ ﴿ إن الله لايحب المعتدين﴾ البقرة ١٩٠

﴿ ولاَ تَكُونُوا كالذينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهم بَطراً وَرِئاءَ الناسِ ، وَيصُدُّون عَن سَبيل اللّهِ* وَاللَّهُ بِمَا يَعمَلُونَ مُحيطٌ ﴾ الأنفال ٤٧.

- وحثها على مكافحة الظلم وعدم السكوت عنه ، حتى تستتب حالها وتستقر أمورها ﴿ وَاتقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَموا مِنكُمْ خاصَّةً * واعْلَموا أنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ الأنفال ٢٥.

﴿ ولاَ تَركَنُوا إلىَ الذينَ ظَلَمُوا فَتَمسَّكُمْ النارُ ﴾ هود ١١٣.

ولقد أهتم القرآن الكريم بتربية النفس وتأديبها وتزكية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، ولم يدع فضيلة إلا حث النفس عليها ، وأضاء لها طريق الوصول إليها ، ولم يدع رذيلة إلا حذرها إياها ووضع العراقيل في سبيلها ، وصور لها العاقبة في صورة مشوهة تنفر منها الأنظار .

ولكي يعمل القرآن الكريم على إيجاد شخصية ذات نفس صافية ، فقد أمدها بأكبر قسط من التربية السليمة الصحيحة ، فوضح لها طريق الخير وطريق الشر ، وأكد لها أن ما تعمله في حياتها عائد عليها ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، وهي حرة في أن تسلك الطريق الذي تستريح فيه وتطمئن إليه .

﴿ وَنفسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَألهَمَهَا فجُورَهَا وتَقوَاهَا ، قد أفلَحَ مَن زكَّاها وَقَد خَابَ من دسَّاهَا ﴾ الشمس ٧ - ١٠ .

- كما رباها على الاتزان والتروي وحذرها من التسرع حتى لاتندم على مافعلت ، ولا تتحسر على ما أحدثت .

﴿ يَا أيُّها الذينَ ءامَنُوا إن جَاءكُم فَاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالةٍ فَتُصبِحواْ عَلىَ مَا فَعَلْتُم نادمِينَ ﴾ الحجرات ٦.

- كما رباها على التوسط والاعتدال في أمور دنياها ودينها ؛ لأن التفريط والإفراط ممقوتان ، وكلاهما يلحق بصاحبه المشقة والعناء والقلق والاضطراب

﴿ ولاَ تَجعَلْ يَدَكَ مَغلُولَةً إلى عُنقكَ ولاَ تَبسُطهَا كُلَّ البَسْط فَتَقعُد مَلُوماً محسوراً ﴾ الإسراء ٢٩.

﴿ وكُلواْ واشْربُوا وَلاَ تُسرفُوا * إنَّه لاَيحُبُّ المسرِفينَ ﴾ الأعراف ٣١ .

﴿ وَلاَ تجهَر بِصَلاتَكَ وَلاَ تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذَلكَ سَبِيلاً ﴾ الإسراء ١١٠.

من هنا يمكن القول : إن التربية الإسلامية تهتم بتربية الفرد والجماعة معاً، فالتربية للفرد هي تربية للجماعة.

إن تربية الإنسان ليست مجرد تزويده بكم من المعرفة قل أو كثر ، صغر أو كبر ، ولكنها بالدرجة الأولى ، نسق من القيم ، إنها تشكل ما نسميه بالضمير ، أو الوازع الداخلي الذي يشير إليه بأن يفعل هذا أو لايفعل ذاك ، وهذا النسق نفسه هو الذي يوجه اختياراتنا في العلوم واستعمالاتنا لها ، ومن هنا ، فإذا كان للبعض أن يتشكك في أسلمة بعض العلوم وخاصة تلك التي تتجه إلى موضوعات ذات طبيعة مادية مثل (الكيمياء والفيزياء والجغرافيا ... إلخ) باعتبار أن موضوعاتها واحدة في مختلف المجتمعات ، فليس لأحد أن يتشكك في ضرورة أسلمة التربية .

إن التربية الإسلامية تزود الإنسان بعقيدة دينية فهي تمده بروافد المعرفة المختلفة المستمدة من مفهوم الفضيلة والداعية إلى فعل الخيرات واجتناب محبطات الأمور ، عن طريق تزويد الإنسان بحصيلة من المعلومات والمعارف المتصلة بمبادئ الدين وأحكامه ومفاهيمه ، هذا إلى جانب ما تقدمه للإنسان من قيم ومثل تهدي سلوكه في حياته.

- إننا في أمس الحاجة إلى نوع من التعليم يهتم بالتربية الإسلامية وأساليبها المتكاملة الجوانب ، حيث إنها تهتم بتربية العقل ، وفي نفس الوقت تتضامن وتتفاعل تلك التربية العقلية مع التربية الجسمية والأخلاقية وبالتالي تعمل على تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة . وهذا الأمر يحتم علينا أو بالأحرى على المسؤولين وضع أهداف لتربية إسلامية أساسها الاهتمام بالعلم والعمل معاً ، بدلاً من الحصول على سياسة تعليمية مستوردة تهتم بتخريج عاطلين .

لذا نجد أن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بالتربية الإسلامية على عكس ما هو قائم الآن ، فكان مفهوم التربية عند المسلمين يشمل العناية بالسلوك كما يشمل العناية بالعلم .

- كما أننا في أمس الحاجة إلى التربية الدينية لعصمة أبنائنا ومجتمعاتنا الإسلامية من قوى الشر والهلاك الناتجة عن طغيان تلك الاتجاهات المادية والإلحادية التي بدأت تهاجم الإسلام والمسلمين بل بدأت تكتسح العالم الإسلامي بأسره .

وبالجملة : فنحن في الوقت الراهن في أمس الحاجة إلى أساليب تربوية إسلامية تحل محل أساليب التربية المتبعة في تربية النشء في الوقت الراهن ، لكونها العلاج الناجح للعديد من المشاكل التي تعاني منها الإنسانية اليوم .

(٥)

التحديات والتربية في العصر الحديث

د . علي عبد الله موسى

التربية في العصر الحديث لم تعد تعتمد على الأساليب التقليدية (الرسمية) مثل المدرس والكتاب والمدرسة، وإن كانت المؤسسة التعليمية لاتزال تملك حق إعطاء المتعلم الوثيقة التي بموجبها يمكنه العمل . وإذا كان من أهم أهداف التربية إيجاد المواطن السوي ، فإن تربية الأسرة والمدرسة بكل إمكاناتها الحالية أصبحت هامشية إذا ما قورنت بالتربية غير الرسمية .

لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال المختلفة هي مصدر المعرفة الممثلة للتربية غير الرسمية والتي تؤثر على السلوك والانتماء : المجلات الثقافية ، والاجتماعية ، والفنية، والصحف الموجهة، والمعلم الذي يحمل فكراً دخيلاً ، بالإضافة إلى التلفزيون بمواده المختلفة من ترفيهية ، وثقافية ، وإعلانية ، وأخبارية ، والفيديو بمواده المتنوعة ، والأطباق الهوائية التي تلتقط البث المباشر من جميع أنحاء العالم والذي يمثل ثقافات مختلفة وأهدافاً محددة ، كما أن الشبكات المعلوماتية عن طريق الحاسب الآلي والتي تمكن الفرد من الاتصال بجماعات وجمعيات مختلفة ، وفي القريب سوف يكون هناك خدمة جديدة " Super high ways " تعطي الفرد الفرصة للاطلاع على أي إعلام خارجي وفي أدق القضايا كما يمكن الفرد أيضاً أن يرسل على هذه الشبكة كل ما يريد أن يشارك به أقرانه في العالم . ولعل سهولة السفر والسياحة في العالم تشكل بعداً آخر لإعطاء الفرد الفرصة لمعرفة ثقافات مختلفة وتعمل جميعاً لإيجاد فكر وثقافة وشخصية معينة . بكل هذه الوسائل تحاول المجتمعات الغربية خاصة استثمار هذه المصادر لفرض الثقافة الغربية من معتقدات (سياسية ودينية) ، وقيم ، وسلوك ، وتقنية... إلخ على البلدان غير الأوروبية . فالحداثة كحركة عالمية هدفت إلى نقل المجتمعات الأوروبية التقليدية الخاضعة للكنيسة إلى حديثة ، والحداثة ليست حركة أدبية فقط وإنما هي

عبارة عن بناء مؤسسات وثقافات ذات سلوك وقيم وعادات حديثة من أجل بناء مجتمع حداثي (معاصر) .

وقد تم تصدير هذا الفكر إلى البلدان غير الأوروبية ، وهذا التوجه نتج عنه ما يسمى بالتغريب وذلك بجعل المجتمعات المتبنية للحداثة مجتمعات غربية في نمط الحياة سلوكياً، واجتماعياً ، وثقافياً ، وفكرياً ، واقتصادياً ، وسياسياً وتحويلها إلى مجتمعات مستهلكة لكل المنتجات الغربية من إعلامية وثقافية وفكرية وصناعية واقتصادية وذلك عن طريق تعميق التبعية في أوساط تلك المجتمعات . والتغريب المدعوم بوسائل التعليم غير المباشر سابقة الذكر يمهد لقيام النظام العالمي (العولمة) الذي يتزعمه الغرب ، والذي يجب أن يعرف على أنه **حركة عالمية لتعميق مفهوم التبعية عن طريق نشر الفكر والثقافة الغربية من أجل إحكام السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية والعلمية والتقنية على شعوب الأرض المختلفة للحصول على المواد الخام والثروات وفتح الأسواق أمام المنتجات الغربية المتنوعة** ، ورغم أن العالم الغربي يركز على الثقافة العرقية المركزية ethnocentric وهو الحكم على الآخرين من خلال ثقافته ومبادئه ، فإنه يحاول تفتيت المجتمعات غير الغربية ، وذلك باستنبات جماعات اجتماعية تنتمي لجماعات مماثلة في الغرب وتكون لها ثقافة معادية counter-culture للثقافة السائدة داخل المجتمع الواحد . يلي ذلك غرس الولاء والانتماء للثقافة الخارجية Xenocentric وتفضيلها على الثقافة المحلية .

بهذه المقدمة المطولة يجب أن يدرك المرء أن الاستنبات الثقافي الذي يمارسه الغرب بكل الوسائل المختلفة يهدف إلى إيجاد المواطن العالمي الذي يعيش بجسده في وسط اجتماعي معين إلا أنه بفكره ومعتقده وسلوكه وقيمه وعاداته ثم بانتمائه وولائه مواطن في بلد آخر.

وبالنظر إلى أنظمة التعليم في العالم الإسلامي والعربي نجد أنها عبارة عن أنظمة موروثة من القوى الاستعمارية أو منقولة من تلك البلدان بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق البلدان التي كانت مستعمرة ، فطرق التدريس ، وأساليب إعداد المعلم ، وطرق البحث ، والتخصصات ، ونظام الدراسة ، والمناهج ، واللوائح التنظيمية مستوردة من الخارج ، والخلل يمكن في عدم إخضاعها وتنقيتها لتوافق هوية وشخصية الإنسان المسلم والعربي " فالحكمة ضالة المؤمن ، إن وجدها ، فهو أحق بها ".

وبالتالي فإن التقبل المتعمد لإحداث التغير في القيم والنواميس الاجتماعية أسهم إسهاماً فعّالاً في ربط العقل المسلم والعربي بالعقل الغربي ومهد للاختراق الفكري والثقافي للمجتمعات الإسلامية والعربية . ومن خلال المناهج التي في الغالب ما تكون مترجمة أو منقولة من كتب غربية ، تمت صياغة العقول عن طريق تلك المؤلفات والتي أعدت أصلاً لمجتمع تعليمي مغاير للمجتمعات التي نقلت إليها . ولقد غاب عن ذاكرة المستهلكين لتلك الكتب من مترجمين ومدرسين وطلاب المنهج الخفي الذي تعمد ترسيخ المصطلحات الغربية في نفوس أبناء ذلك المجتمع .

وقد خرّجت المدارس والجامعات على مدى العقود الماضية ملايين الطلاب والطالبات الذين تشربوا أفكاراً وثقافات أجنبية أدت إلى تفريغ عقول أولئك الطلاب من ثقافتهم المحلية وربطهم بثقافة دخيلة أدت إلى أزمة في الهوية والانتماء لدى الكثيرين منهم . وإذا كانت البطالة من نتائج تلك النظم التعليمية فإنها سوف تعمل على المدى البعيد كوقود لإذكاء تلك الأزمة التي نلمس ظواهرها في البلدان العربية والإسلامية ، كما أن النمو السكاني السريع وازدياد الطلب على التعليم مقابل الضمور الاقتصادي والذي يحد من استيعاب الخريجين الجدد سوف يزيد من اتساع رقعة هذه الأزمة مما يهدد هذه المجتمعات بظهور ظواهر غريبة تؤثر على البنية الاجتماعية ، والأمنية ... إلخ .

لهذا فإن على صناع القرار ، والمفكرين ، والتربويين مسؤلية مواجهة هذه المأساة التعليمية بأمانة وجدية بعيداً عن المصالح الخاصة وفي جو من الألفة والأخوة حتى يمكن إعادة تصفيف الأحرف والكلمات المبعثرة التي فتتت العقل العربي والمسلم .

ولعل من أهم الأولويات لإعادة صياغة العقول المشتتة وضع سياسات تعليمية مدروسة من قبل المتخصصين من أبناء المجتمعات الإسلامية والعربية والذين ثبت عدم تبعيتهم الفكرية والعلمية المناهضة للثقافة المحلية آخذة في الاعتبار القضايا التالية :

أولاً : الولاء والانتماء :

الولاء والانتماء هما النواة التي يتشكل منها ذلك المجتمع الكبير وبالتالي فإن استنباتها في عقول الناشئة وسقيها بالفكر النقي الصافي والهادف إلى بناء شخصية متزنة تدرك أهمية دورها في الحياة مقارنة بغيرها من شخصيات الأمم والثقافات الأخرى ، ورعايتها بأيد أمينة حتى تؤتي ثمارها التي يعاد غرسها مرات ومرات هو مطلب أساسي حتى يقدر الفرد قيمة ما حوله من ممتلكات عامة

وخاصة، ويعرف حقوقه وواجباته وعلاقاته مع الأفراد والمؤسسات والبيئة بكل معطياتها المختلفة .

ثانياً : تهذيب السلوك والأخلاق :

يعاني المعلم والمتعلم من الازدواجية في العملية التعليمية بين التربية الرسمية والتربية غير الرسمية والتي تقدم مادة تتنافى مع القيم والأخلاق والأعراف المحلية السائدة وتتكرر هذه الصور والمشاهد بشكل دائم من برنامج إلى آخر مما يؤدي إلى تثبيت تلك السلوكيات فتصبح الشواذ قواعد والقواعد شواذ ، ومن هذا المدخل يتم الاستنبات الثقافي الذي يخل بالبنية الاجتماعية والأمنية ... إلخ على المدى البعيد . والواجب أن تتم عملية تنسيق بين أجهزة الإعلام والتعليم وأن تصحح المفاهيم المغلوطة والمتناقضة والتي تربك المعلم والمتعلم والمستهلك لتلك المعلومات المعرفية .

ثالثاً : الإخلاص وحب العمل :

نحن أكثر الأمم إدراكاً لقيمة الوقت والعمل والمال من منطلق قول الحق عز وجل ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرايره ومن يعمل مثقال ذرة شر اً يره﴾ ومع هذا فإن الواقع يشهد على إفلاسنا في هذه الجوانب بل إن اللامبالاة والتهرب من المسؤولية تكاد تكون صفة سائدة ، لهذا يجب أن نربي في نفوس الناشئة عوامل الرقابة الذاتية (الربانية) مع الرقابة الإدارية (البشرية) حتى يقدم الفرد على العمل برغبة صادقة وأمانة عادلة يشعر بمردودها النفسي الداخلي والإنتاجي الخارجي . كما يجب أن يربى الأفراد على عدم الرضى عن الكسل ، والغش ، والتحايل ، وسوء الاستخدام للصلاحيات المتاحة لهم أو الأعمال الموكلة إليهم .

رابعاً : التأهيل وظيفياً ومهنياً وربط ذلك بخطط التنمية :

يلاحظ عدم كفاءة الخريجين وإعداداهم في مجالات لاعلاقة لها بالاحتياج الوطني في الوقت الحاضر والمستقبل مما يشكل هدراً عظيماً في موارد الدول . لهذا يجب أن يوجه التعليم إلى :

(أ) خدمة قطاع الخدمات الذي يمثل أكبر قطاع للعمل والذي تسيطر عليه العمالة الأجنبية خصوصاً في دول الخليج .

(ب) تكييف التخصصات غير التنموية وإحلالها بأخرى ذات جدوى اقتصادية على مستوى الفرد والمجتمع حتى لاتؤدي إلى بطالة غير محمودة ..!!

(جـ) ربط الإعداد المهني بالاحتياج الوظيفي .

(د) فتح المجال أمام العمالة الوطنية غير المؤهلة لإعادة تأهيلها.

(هـ) الاستعاضة عن التخصصات غير التنموية بتخصصات تدعم الهوية ومبنية على الولاء والانتماء .

خامساً : التركيز على النوعية :

تحتاج البلدان العربية والإسلامية إلى إعداد دراسات وتقارير تحليلية مقارنة لرصد كفاءة الخريجين والأنظمة التعليمية ووضع الاختبارات والمقاييس الاستشرافية حتى يمكن توجيه هذه القوى واستغلالها للصالح العام ، وفتح المجال أمام القدرات الموهوبة التي يمكن أن يكون على أيديها سعادة الأمم بعد توفيق الله تعالى .

سادساً : استخدام التقنية الحديثة :

تتنافس الأمم والشعوب على تحديث أنظمتها وتجهيزها بالتقنية المناسبة التي تؤدي إلى إتقان العمل وإنجازه واختصار والوقت والجهد والمال وتنظيم قنوات الاتصال مثل الحاسب الآلي ، والواجب أن تتوافر في المدارس والكليات مراكز إعداد للطلاب والطالبات الذين سوف يحتاجون إلى هذه الخبرات عند انضمامهم إلى مجال العمل .

ويجب أيضاً تشجيع النوادي العلمية والتقنية لاكتشاف القدرات الطلابية الموهوبة وتشجيع المتعلمين على الاختراعات والاكتشافات والابتكارات العلمية .

سابعاً : مرونة التعليم :

يجب أن تسمح أنظمة التعليم لكل راغب في التعليم أن يجد المجال مفتوحاً أمامه لتطوير قدراته ومواهبه وأن يوجد في النظم التعليمية الإمكانيات الكافية لملء الفراغ لدى المتعلمين والمستفيدين في كل القطاعات .

ثامناً : يجب أن تتحول مؤسسات التعليم العالي إلى مراكز للحوار الفكري والثقافي بين المنتجين للفكر والمستهلكين له أو بين المنتجين أنفسهم حتى تتم الاستفادة من الخبرات المختلفة لبلورة أفكار بناءة تعود بالنفع على الجميع .

وأخيراً : إن القارئ لأدبيات الباحثين الغربيين على اختلاف تخصصاتهم ومناصبهم يلمح الإطراء أحياناً والهجوم أحياناً على الثقافة الإسلامية ، ولكن المشكلة أن تجد بعض الباحثين المسلمين يساهمون في الهجمة الشرسة على عقيدتنا وثقافتنا حيث يتم الحكم على مجتمعاتنا من خلال المقاييس الغربية التي تجعلنا دائماً النقيض في تلك المعايير التي صممت لمجتمعات مسيحية ويهودية وعلمانية .

والمسئولية تتضاعف يوماً بعد يوم على أبناء هذا الوطن الذي اختاره الله ليكون مهبطاً للوحي ومصدراً للعدالة الربانية الممثلة في القرآن والسنة والتي يقوم عليها دستور هذه البلاد .

والمطلوب ، أن نتحول من مستهلكين لأساليب التربية الغربية ونظمها إلى منتجين لفكر وثقافة تتلاءم مع ثقافة الأمة الإسلامية والعربية وأن تراعى معطيات العصر وتحدياته التي تهدد الهوية والانتماء . كما يجب الاطلاع على مالدى الثقافات الأخرى من إنجازات يمكن أن تخدم مصالحنا شريطة أن يكون لدينا رصيد كافٍ في ثقافتنا الأم حتى نعرف أوجه الشبه والاختلاف ونكون في مستوى يؤهلنا لتقييم قيمة الضرر والنفع عند الاقتباس من مصادر تلك الثقافات .

المراجع

(1) AlI A. Mosa . Why Globalization ? 1996.

(2) Philip G . Altbach , Servitude of the Mind ? Education , Dependency and Neocolonialism . Comparative Education , December 1977, Vo 79.

(3) Lawrence J. Saha& Ingemar Fagerlind . Education and National Development Acomparative Perspective 2nd Edition, 1989. Pergaman Press, NY.

(4) J . Ross Eshleman . Barbara G. Cashion . Lawrance A. Basirico Sociology : An Interoduction , Third Adition , 1988. Harper Collins Washington , D. C.

(٦)

التربية التي نتطلع إليها

د . راشد القصبي

إن الأمة الإسلامية تواجه تحدياً سياسياً واقتصادياً وحضارياً هائلا يتقرر في ضوئه مصير تلك الأمة ، وفي مثل تلك اللحظات لابد أن تتجه الأمم والشعوب إلى نظمها التربوية تبحث فيها عن كيفية مواجهة هذا التحدي وتلتمس من خلال تغيير تلك النظم التربوية أو بعضها تجاوز هذا التحدي .

والتربية التي نتطلع إليها هي التربية التي تستهدف الإنسان المسلم الذي تتجسد فيه قيم الإسلام الكبرى أي إيجاد إنسان القرآن والسنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته ، وهو إنسان مستخلف لله في الأرض بما يتطلبه هذا الاستخلاف من الكدح المستمر في سبيل إيجاد نوعية من الإنسان راقية من الناحية الجسدية والعقلية والروحية والمهنية والحرفية ، وهو إنسان أنتجته التربية الإسلامية في عصورها الزاهرة ، ومازالت قادرة على إنتاجه اليوم.

والإسلام له نظرة متكاملة للطبيعة البشرية ولتربيتها بصورة أكثر شمولاً من ذلك الاجتهاد البشري لفهم الطبيعة الإنسانية ، إذ ينظر الإسلام إلي الإنسان على أنه ذو طبيعة مزدوجة : مادية وروحية ، ومع ذلك يتكامل هذان الجانبان تكاملاً عضوياً ، ويرى الإسلام أن الطبيعة الإنسانية محايدة فكل إنسان يولد على الفطرة وهذا يعني أن الإنسان يكتسب جانب الخير أو الشر خلال التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها .

والتربية التي نريدها هي التربية العقلية المضبوطة التي تحمي الفرد من صور الشطط والجمود المختلفة ، فتحدد مجال النظر العقلي لتصون الطاقة العقلية من التبدد ، وتدرب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة وتتخذ لذلك وسيلتين : الأولى هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ، والوسيلة الثانية هي تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ، وتتصل التربية للوسيلة الأولى بطائفة

من التوجيهات والتدريبات التي تعد الفرد المسلم للتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتضائه تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ سورة الإسراء ، آية ٣٦.

والوسيلة الثانية - وهي تدبر نواميس الكون - لتطبع العقل بطابع من الدقة والتنظيم .

إن نواميس الكون تجري في دقة عجيبة ونظام لايختل وفوق ما يوحيه للعقل البشري من تقوى الله الصانع المدبر والتوجه له في كل أمر، فإن التربية التي نريدها هي التي تدرب العقل وتعوده على دقة النظر وانضباط الأحكام ، إن دورة الأرض ودورة الشمس ودورة الأفلاك ليست مضبوطة بالساعة ولا بالدقيقة ولا بالثانية ولكنها مضبوطة بسرعة الشعاع الذي يقطع (١٨٦) ألف ميل في الثانية، والنظر في هذه الدقة المذهلة يعوِّد العقل البشري أن يُدَقِق فكل خلل بسيط في التفكير أو التقدير ينتج عنه أخطاء جسيمة ، لو كان يحدث مثلها في الكون لانفلت عقده وتهاوى ما فيه من أفلاك.

إن رسالة الإسلام باعتبارها منظمة للحياة الدنيا علماً ومعرفة وخلقاً وعلاقات إنسانية وسعياً لإعمار الكون وغير ذلك هي تربية تقوم في جوهرها على الإنسان ومن حقها على المجتمع المسلم أن يطورها وينظم مناهجها لدراستها والتعليم والتعلم؛ لأن التربية وصياغة مناهجها شأن من شؤون الحياة الدنيا التي دُعِيَ العقل البشري أن يسبر غورها ويدخل ردهاتها ويبتكر في مساراتها ومناهجها ، وتوظيف الفكر ملاحقة للتطورات الحادثة ، بغية إعداد الإنسان المسلم المستخلف في الأرض .

فالتربية التي نريدها هي التربية الإسلامية التي تعادل في التعايش الدنيوي بين الماديات والروحانيات والتي تجمع بينهما جمعاً موفقاً تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا ﴾ سورة القصص ، ولقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ سورة الأعراف.

فتربية الشخصية المسلمة هي التي توائم بين العقل والروح والجسد ويكون هناك إطار قيمي واحد لتلك الشخصية - قيم واحدة تتعامل بها الشخصية في المصنع ، وتتعامل بها في الشارع ، وتتعامل بها في المتجر ، أي تسير الحياة كلها على نظام واحد.

إن هذا التشريع الإسلامي يحمل فلسفة تربوية ، لو أن العقول المفكرة صاغتها بإحكام منهجاً تربوياً ، على أن يكون هذا المنهج هو النظام الدراسي في كل مراحله التعليمية وكل مقرراته وأنشطته لأنتج لنا هذا النظام الشخصية المسلمة الداعية للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، المتقنة لعملها ، وتسهم في تأصيل وتجديد الثقافة الإسلامية العربية .

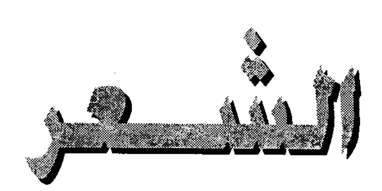
ومن كل ما سبق فإن التربية التي نريدها هي التربية الإسلامية التي تعتمد على العقيدة الإسلامية والتي تقوم على العقل والضمير مما يمكن الإنسان من حرية التفكير والتعبير ، ومن هنا أصبحت إحدى شعائر الإسلام هي إعمال العقل البشري وتوظيف التفكير الإنساني في تنظيم وتطوير ما شرعه الله ، والدعوة إلى تحصيل المعرفة والعلم فقد حث الدين الإسلامي على طلبه .

والمنهج في التربية التي نريدها هو المنهج التكاملي الذي يجمع بين العقل والنقل وهو ضروري لمواجهة تلك الحاجة الإنسانية في استغلال طاقة الواقع والخيال فالرومانتيكية تهمل واقع الأرض وتهيم في الأحلام ، والواقعية بعدها تتنكب الأحلام عمداً وتجنح إلى الواقع الصغير المحدود الذي تدركه الحواس ويمارسه الإنسان وهو واقع تحت ضغط الضرورة لامنفلت منها ولا مترفع عليها ، هنا نجد التربية الإسلامية تقع على الوترين المتقابلين كل في نطاقه وكل بما يصلح له .

فأما طاقة الواقع فتعطيه عملها الكامل في نطاق الحياة ونطاق الأرض (إقامة الدولة وتنظيمها وحمايتها وتنظيم المجتمع بحاجاته المادية والاقتصادية والسياسية والتعليمية .... إلخ ، واستخلاص معادن الأرض وطاقاتها واستغلالها لمنفعة البشر وتنظيم العلاقات مع الدولة الأخرى في السلم وفي الحرب .... إلخ ، ولكنه لا يقنع بالضرورة ، ولا يحجر مشاعر الناس ويوقفها في حدود هذا الواقع الصغير لكي لا تفسد، ولكي لا يأكلها الصراع في عالم المادة ؛ لذلك يشغل طاقة الخيال لتساند طاقة الواقع وترفعها عن قيود الواقع المحدود يشغلها في تخيل الكمال المطلق بقدر ما تطيق، لأن تخيل الكمال المطلق يجعلها (تهفو) لإصلاح الواقع ، ومن ثم يصبح الخيال واقعاً بعد حين ويرتفع مستوى البشرية كلها بقدر ما تطيق .

حقاً ... إن الحياة البشرية من الثراء والتنوع بحيث وجب على الإنسان أن يستثمر كافة طاقاته كي (يعب) منها بقدر ما يستطيع وهو في ذلك إنما يحقق هدفاً رئيسياً من

خلقه على هذه الأرض ، فقد استخلفه عز وجل عليها ، والقيام بمسئولية الاستخلاف تقتضي حسن الاستثمار ، وحسن الاستثمار لايكون إلا بالتعمير الدائم المستمر ، وهذا وذاك لابد أن يستند إلى استقامة خُلُقية يحددها المولى عز وجل، وبالمنهج العقلي وبقواعد الشريعة ، وبالتربية الصحيحة التي تمكن الإنسان أن يطمئن إلى (استقامة) طريقه ، فتتحقق بالتالي أهداف التربية الإسلامية التي نريدها.


الشعر

أبها والذكريات

محمد محمود جاد الله

بعد ثلاثين عاماً عدت إلى (أبها البهية) فوجدت المعالم غير المعالم وسألت عن صحاب أعزاء فلم أجد منهم إلا من كانوا صغاراً عندما فارقتهم ورحل الكبار إلى دار البقاء فاعتملت في القلب المشاعر والأحاسيس واختلط الفرح بالحزن وجاشت الذكريات فقلت هذه الأبيات:

تقــاصَــرَ الخَطْوُ أمْ ضــاقت بِيَ الســبلُ
أصْــفَــرَّ روضُ الصِّــبــا من بعــدمــا رحلوا
لم يبــرح القلبُ من بَعْــدِ النَّوى دَنِفــاً
أقضَّ مـــضـــجَـــعَـــهُ الأهاتُ والعِـللُ
هل يَرعِـوى اليـومَ بعـد الشَّيْبِ عن غَـرَرٍ
من ظَلَّ تَـفْـــتِـنُهُ الأغـــصـــانُ والمُقَـلُ
وظَلَّ داعي الصِّــبــا يدعــوهُ مــا سَنَحَتْ
لــه المــآربُ لا خَـــــــوْفٌ ولا وَجَــلُ
وهل يرى اليــومَ للخــمــسين حُــرْمَــتَــهــا
والشــاهِدَيْن وشَــيْبُ الرأسِ مُــشْــتَــعِلُ
وذي المـنـيـــةُ بـالأعـنـاق آخـــــذةٌ
والقلبُ مُــحْــتَــمِلٌ مــا ليس يُحْــتَــمُـل
وَدَّعْتُ عــهــدَ الصِّــبــا والعينُ دامــعــةٌ
والســعــدُ مُــفْــتَــقَــدٌ والهَمُّ مُــتَّــصِلُ
لم يَبْقَ منـه ســوى ذكــراهُ مــاثلةٌ
فــالجَــفنُ مُــتَّــقِــدٌ والدمعُ مُنْهَــمِلُ

يادارةَ الحُسْن جئتُ اليومَ أبحثُ عن
أزاهرٍ جَفْنُها بالطُّهرِ مُكْتَحِلُ
وعن شبابٍ مضى غضّاً لأبكِيَهُ
وعن رفاق الصبا لم أدْرِ مافعلوا

***

هاقَدْ أتيتُكِ يا أبها فأين أنا
بل أين ثاغيةُ الأغنامِ والطللُ
وأينَ وادي المُنى تَشدو بلابُله
والأرضُ من حَولِنا بالنُّورِ تَحْتَفِلُ
يرنو لنا حَبَقٌ للفجر مبتسمٌ
تظل تُرقِصُهُ الأنغام والقُبَلُ
إمّا تهامَسَ أبدى عن مَوَدَّتِه
وإن تَمَايَلَ قلتَ الزهر يَقْتَتِلُ
قد جئتكِ اليوم يا أبها ولي كبدٌ
حَرَّى من الوَجْدِ قد أوْدَتْ بها العِلَلُ
أرسلت ذا القلبَ إثْرَ الظاعنين ولي
في أن أراهم وأن ألقاهُمُ أمَلُ
لي في حِماهم رَشاً في القلب مَوضعُهُ
يَصفو به العيشُ بل يَحلو به الغَزَلُ
إمَّا بدا لك لا تحظى بطلعته
بل عنك يَحجبُهُ الإطراقُ والخَجَلُ
إنّا على البُعد نَرعى من مَودَّتِه
ما كان تَشْهَدُهُ أيامُنا الأوَلُ

لايَعْــتَــري الوِدَّ من طولِ الزمـــانِ بِلىً
وليس يَلْحَـــقُــهُ النِّســـيـــان والدَّخَلُ
يا صــاحِــبيَّ انزِلا خُطّا رِحــالَكُمــا
لي عنكُمــا اليــومَ في أبهــا الهــوى شُــغُلُ
لاتَنْسِـبـاني إلى طَيْشِ الشـبــابِ فـمــا
أشــقى الشــبــابَ الذي يَهــوى به الزَّلَلُ
لاتعــذِلاني فــمــا النســيــانُ من شِيَــمي
مـــا كُلُّ جُـــرْحٍ بطولِ العَـــهــدِ يَنْدَمِلُ
لا تعـــذِلاني فـــإنّي لا أبالـكُمـــا
أضْنانيَ الشــوقُ مُــذْ أعْــيَــتْنِيَ الحِــيَلُ
يا للمَخليـن مـــا صـــوتي بِبــالغِـــهِمْ
إمّـــا غَـــرِقْتُ ولا يـأتيــــهِمُ البَلَلُ
أســائِلُ الرَّبْعَ عن عُــمْــرٍ قـد أنصـرمتْ
أيـامُـــهُ والمُنى في القلب تَعْــتَـــمِلُ
هذي الـديارُ هـواها لانُـضَـــيِّـــعُـــهُ
وشـــاهدانا عليـــه الســـهـلُ والجـــبلُ
هل يُقـبلُ الركْبُ بالبُـشْـرى فـيـسـعـدنا
وهـــل يُـــغـــنّـــي هَـــوانـــا بـــلـــبـــلٌ ثَـــمِـــلُ
أو يُسْـعِـفُ الدهرُ باللُّقـيــا على ظَمَــأٍ
من قـــبـل أن تَغْـــرُبَ الأحـــلامُ والأجَـلُ
فـيـــا رَعَى اللهُ رَبْعــاً كــان يجـمــعنا
ويـاســقــاهُ الحَـيـــا والصَّـيِّبُ الهَطِلُ

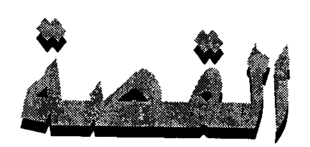
* * *

بيشة الفيحاء

أحمد عبد الله عسيري

في ضوء وجهك أقرأ الأملا   وعذوق نخلك تسكب العسلا
هل بيشةُ الخضراءَ أم قمرٌ ؟   يتسلق الأرواحَ والمقلا
كم همتُ فيك وكم رؤيً نبعتْ   تستاف عطرك تُلهم الجُمَلا
قبلتُ رملك فارتوى ظمأي   يالذّ تربَك يمنح القبلا
والليلُ يُسكن في دمي نفساً   من مقلتيك وينثني جذِلا
فأتيه فيه وخافقي شردٌ   بكفوف فجرك تضفر الخُصَلا
شلال (ترجك) فوق رابية   يلهو على أعطافها ثملا
زيتونةٌ في (السبت) فاتنةٌ   ومن الهوى والعشق ما قتلا
حدثتُها أهواكِ فانتفضت   كمليحةٍ لاتقبل الغزلا
هيا أغمضي عينيك سيدتي   هو راحل وإلى (عيبا) رحلا
أمجادُه في الريح ما بليت   ونقوشه تتوسل الطللا
يابيشةُ الفيحاءُ إن لنا   في صدرك العطريِّ ما حملا
في موسم الأفراح موعدنا   أو تمتمات الغيم إن هطلا
و(الرايح) السحري يطربنا   حنًّا السهولَ وخضّب الجبلا
يابيشةُ الفيحاءُ كم هتفت   فيك الروابيَ .. كم شدت بهَلا
ألقى عليكِ الصبحُ خضرتَه   وهمي عليكِ عذوبةً وحلا
فتوهجي كالشمس مشرقةً   وتمايلي كالنجم مشتعلا

ياحلوةَ العينين كحلهما — من كوكب الأحلام قد نزلا؟
أبناؤك الأبرارُ أغنيةٌ — تنساب في أعماقنا قبلا
آمالهم كالنخل سامقةً — وقلوبهم أضحت لهم مثلا
في مهجتي من طيبهم قصص — وملاحم من عِزة وعُلى
قلبي لهم قد جئت أحمله — فليعذروني لم أجد بدلا



مساحة للفرح

محمد محمود عثمان

في فترة القيلولة ، حيث يميل الكبار إلى السكون والاسترخاء من عناء العمل. كنا نتجمع نحن شباب الحي ، فوق درجات سلم المسجد الرخامية الواسعة ، نتبادل فيما بيننا الرأي حول ما قرأناه أو سمعناه في كثير من الموضوعات التي تثير اهتماماتنا في تلك المرحلة من عمرنا . كان ذلك الوقت محببا لدينا وكان اكتشافاً ارتحنا له ، وكنا ننجز فيه أيام دراستنا الكثير من تحصيل المقررات الجامعية التي نجد صعوبة في فهمها.

وخلال العطلة الصيفية ، كان شيخ مسجد حينا يلقى دروسه علينا في تلك الفترة، وقد اعتاد على ذلك أيضاً منذ زمن .

في عصر ذلك اليوم كنا نجلس كالمعتاد . حين قفز (إلهامي) من بيننا وتوقف على مقربة منا وأشار إلينا بالصمت والترقب . كان الصوت - رغم قرب المسافة - يأتي إلى أسماعنا متحشرجاً ومتباعداً ، تضامنت معه أصوات أخرى ، فارتفعت الاستغاثات بدرجات متعددة ومتداخلة .

استقمنا وبدأنا نقفز متتبعين مصدر الأصوات . حول البيت الذي كان يقع على ناصية حينا ، كان الناس يتجمهرون ويثرثرون ، ومن بينهم كان يمرق من وقت إلى آخر سكان المنزل ، وهم يحملون الأمتعة ويلقون بها إلى عرض الطريق ، فيبدأ الآخرون في سحبها بعيداً..

البيت سينهار ... البيت سينهار .

جرينا إلى الداخل وفعل بعضهم مثلنا . كان الناس يعدون ويجيئون وقد حملوا أكبر قدر من الأمتعة إلى الخارج . توقف بعض السكان واكتفوا بما حصلوا عليه ، وحمدوا الله على نجاتهم سالمين ، ثم أخذوا يزعقون بأن يكف الناس عن إخراج أية أمتعة أو أثاثات أخرى ، حتى لاينهار فوقهم المنزل وتكون الخسارة أكبر حينئذ .

لم يرضخ الكثير من السكان لذلك ، وآثروا جلب المزيد من أمتعتهم . أشار رجل

إلى ازدياد التصدع واتساعه بصورة متتابعة في المنزل . تزايدت الصيحات وارتفع العويل. وفي الثواني التالية انهار المنزل وأحدث انهياره دوياً مفجعاً للمترقبين . ارتفعت الأتربة الخانقة وتتابع الجري - العشوائي - إلى أبعد مكان عنه.

رويدا رويدا بدأ الغبار ينقشع ، فأخذت الأيدي تعمل بهوس في رفع الأنقاض ، وأخذ الناس يتذكرون وجوه الذين كانوا يقفون بجوارهم أو يشاركون في إخراج الأثاثات. وصار النداء عالياً لمعرفة المفقودين.

بعد وقت قصير تمكنوا - بالتقريب - من معرفة الغائبين ، وإذا مانجحوا في العثور على أحد ، حملوه بسرعة إلى المستشفى القريب .

مع نهاية اليوم بدأت صحة المصابين في التدهور ، ومع انتصاف الليل كانت الحالات قد تساوت إلى نتيجة واحدة .. رفعت الأيدي بالتوسل إلى الله أن يخفف الآلام ويهدئ روع القلوب . فسكنت الأجساد المرتجفة ، وبدأ الرضا بقضاء الله الذي نفذ يزيح وجل الصدور.

كان الصباح حزيناً على الحي ، وإذ نحن في مواساتنا لبعضنا تنبهنا إلى غياب (إلهامي). وكثرت تساؤلاتنا .. قال الكثيرون وأكدوا أنه دخل المنزل . واستدركنا أنه أول من دخل منا إليه . ولم يكن بيننا حين جرينا إلى الخارج قبل الانهيار مباشرة .

وتيقنا أن إلهامي مازال تحت الأنقاض . جرينا إلى المنزل المنهار وبدأنا ننبش بكل قوتنا بين الأنقاض وحطام الأشياء ، ومن حين لآخر كنا نردد اسمه عالياً ونصيح به في نداءات متتابعة محمومة ، ولم نستطع مجابهة ضعف إرادتنا فذرفنا الدموع، وأخذنا نتذكر فيما بيننا مواقف إلهامي ذلك الشاب الذي لايملك إلا النذر اليسير من المتاع.. من سيكون منا عوضا عنه؟ لقد كان يسبقنا إلى المسجد دائماً ، ويكون آخر من يخرج منه. نرتاح إليه كثيراً فنحكي له عن همومنا وما يؤرقنا في حياتنا اليومية ، فيهدئ من روع قلوبنا برجاحة عقله واتزانه وهدوئه المعتاد. لقد كان مغرماً برش الماء في المساحة الفضاء أمام المسجد. وكان يفعل ذلك قبل حلول مغرب كل يوم ، ولم يتخلف عن أداء ذلك أبدا . وفي مساء كل خميس كان يحثنا على تنظيف المسجد استعداداً ليوم الجمعة، فنشاركه العمل وهو يعدد لنا مآثر ذلك . يا الله .. لقد كانت تلك المرة الثانية التي يشارك فيها بمثل هذا العمل . كانت المرة الأولى منذ شهرين، حين استغاثت المرأة العجوز من نافذة منزلها، وطلبت من المارة مساعدتها للنزول عندما أحست أن المنزل

سينهار .. يومها لم يصدقها أحد غيره . فجرى إليها وصاحبها إلى الخارج ، ولم تمر سوى لحظات حتى انهار المنزل ونجت العجوز وأكثرت الدعاء له .

هاهو اليوم ينقضي والأيدي مازالت تعمل . أربع وعشرون ساعة مرت. هل يمكن أن يكون قد .. ربما هناك أمل أن ينجو.

أحضرنا المشاعل وأخذنا نستكمل مهمتنا .. وبدأ الناس يتجمعون بشكل تلقائي ويساهمون في البحث عن (الهامي) .

بعد فترة من العمل الشاق انطلق صوت وأخذ يهلل " الله أكبر .. الله أكبر " تحلقنا واقتربنا كانت القدم واضحة لنا . في عصبية محمومة ، أزحنا الأتربة والمكتب الخشبي . ووجدناه قابعاً تحته . تصاعدت فرحتنا فهللنا كثيراً ، ثم أخذنا نجس نبضه وتأكدنا أنه مازال حيا . ألقينا ببعض الماء على وجهه وأخذنا نبسمل ونقرأ آيات من القرآن ..

خرج صوته خافتاً كآت من مكان سحيق . لم نتمالك أنفسنا فبكينا . فتح عينيه وبدأت حركة شفتيه تتضح . رفعنا نصفه العلوي وأجلسناه حسب رغبته . كانت كلماته واهنة إلا أننا استطعنا أن نفهم ما يقول . جرينا به إلى السلم الرخامي وأخذنا نعيد فحص جسده . لم تكن به أية إصابات سوى بعض الخدوش والرضوض الخفيفة ..

عانقناه بفرح وحمدنا الله كثيراً أنه بخير . ورحنا نرقب في تلهف حركة شفتيه وهو يحكي لنا عما حدث معه ، قبل أن يغيب عن الوعي ، تحت طوابق المنزل المنهار ..

تراب الوطن

محمد عادل عبد الخالق

أخيراً أقلعت الطائرة به من مطار نيويورك متوجهة إلى مطار دمشق ، بعد سبع سنوات طوال قضاها محمد عبد الرحيم في الولايات المتحدة وهو يصل الليل بالنهار للحصول على الدرجة العلمية المطلوبة ، الشهادة التي تحتويها الآن حقيبة يده مزينة بدرجة شرف . وخلال تلك الفترة لم يزر سورية ولو مرة واحدة ، فكلفة السفر مرتفعة وإمكاناته المادية محدودة . أسند رأسه على مقعده في الطائرة وأطلق لخياله العنان. كل شيء سار على مايرام في بلده - أثناء غيابه - باستثناء حادثة واحدة نغصت عليه حياته. فلقد مات أحمد العامري أعز صديق عليه بعد إصابته بمرض عضال ، وعندما وصله الخبر الحزين خلال السنة الثانية من دراسته بكى كالأطفال . كان أحمد صديق طفولته وشبابه ، أحبه من قلبه وبكل جوارحه ، وقد قال له في المطار قبل السفر إلى الولايات المتحدة :

- ثق يا أحمد أني لن أنساك ، فأنت الأخ الذي لم تلده المرحومة أمي. ترقرقت الدموع في العيون ، عندها حاول محمد أن يخفف من تأثير الموقف فأضاف مازحاً :

- ثق أني لن أنسى تراب الوطن الذي تكرره دائماً على مسامعي.

ولهذا المزاح أسبابه القريبة والبعيدة . فقد كان أحمد العامري يؤكد لمحمد ، بعد أن تقرر إيفاده إلى الولايات المتحدة ، على أن قيمة أي بلد في العالم ، ومهما تكن ظروفه أفضل ، لا تعادل حفنة من تراب الوطن . وكان محمد يرد عليه محاولاً إغاظته دون إمعان التفكير:

- التراب هنا أو هناك متشابه ، مجرد تراب .

فيرد عليه أحمد :

- إذا كنت جاداً ، فأنت مخطئ وستبرهن لك الحياة على خطل رأيك .

وأكثر من ذلك ، كان من عادة أحمد أن لايستخدم كلمة الوطن إلا مقرونة بالتراب ، حتى إن محمداً قال له ذات مرة مداعباً :

- سأسميك أحمد تراب الوطن . فأجاب بلهجة حازمة :

- إنه شرف كبير .

كم يحزنه أن لايجد " أحمد تراب الوطن " في استقباله . عزاؤه أنه سيرى والده وإخوته وأخواته وعدداً كبيراً من الأصدقاء المخلصين . ولكن ما يقلقه عدم سماع صوت أبيه خلال الاتصالات الهاتفية الأخيرة التي جرت بينه وبين إخوته . تبادرت إلى ذهنه احتمالات عدة ولكنه نحاها جميعاً وأقنع نفسه بما قاله له أخوه الكبير في آخر اتصال هاتفي :

- ذهب أبوك إلى القرية بعد أن اطمأن على تخرجك وعودتك القريبة ، إنه يريد أن يستقبلك وهو في صحة رائعة .

سبب معقول ، فرغم إقامتهم في مدينة حلب إلا أنهم في الأصل من قرية " عين " وما زال لهم هناك منزل متواضع يؤمّونه بين الحين والآخر للاستجمام والراحة.

إنه في شوق عارم لملاقاة الجميع ، الجميع بلا استثناء ، صحيح أن بعضاً منهم قد أخطأ معه في يوم من الأيام ، إلا أن روح التسامح تنداح في قلبه كسيل عرمرم ترفدها مشاعر الفرح المتفجرة بلا انقطاع .

حقاً إن الغربة موحشة والحنين إلى الوطن قتال " كرر ذلك مرات عديدة بينه وبين نفسه ، ثم استدرك بأسى احتراماً لذكرى أحمد " والحنين إلى تراب الوطن قتال " صحيح أن البشر بشر في كل مكان ، وأن البيوت والشوارع والمحلات عموماً متشابهة ، إلا أن هناك فروقاً جوهرية يصعب التعبير عنها . فرغم تمكنه من اللغة الانكليزية وقدرته على التواصل مع الآخرين في الغربة ورغم إقامة بعض علاقات الصداقة مع زملائه الطلبة ، إلا أنه كان يحس في أعماقه أنه غريب ومعزول. في الوطن ، كل شيء له حكاية ، له تاريخ ، له طعم ، له رائحة تؤكد وجوده وإنسانيته ، أما في بلد أجنبي ، فهذه أمور لاتخصه ولا تثير فيه أي إحساس أو شعور أو فكرة .

يحاول أن يقف سيل تأملاته وتداعي خواطره وذكرياته فيفشل ، إلا أن صوت المضيفة ، وهي تعلن الاقتراب من مطار دمشق ، يمكنه من السيطرة على نفسه ، لقد لازمه فجأة إحساس بأنه على وشك الإفراج عنه بعد سجن طويل .

وحينما دخل قاعة المطار أحس بأن خفقات قلبه تتسارع على نحو لم يألفه منذ

زمن بعيد وأن عينيه مشدودتان كما لو أنهما تودان الخروج من محجريهما . وبعد لحظات يجد نفسه بين الجميع ، تغمره قبلاتهم الحارة وتحياتهم القلبية ، ولكن أين والده؟

يسأل ويلح في السؤال . يقول له أخوه الكبير : مازال في القرية ، إنه متعب قليلاً . لم يقتنع ، يحس إحساساً صادقاً بأنه قد مات . يكبت عواطفه ، لا يحب أن يشوه فرحة اللقاء . وفي حلب يبلغونه بالحقيقة ، لقد مات والده منذ أيام قليلة .

يقرر السفر مباشرة إلى القرية ، لابد من زيارة قبر ذلك الرجل الذي حلُم آلاف المرات بضمه إلى صدره ، بتقبيله ، بالاستسلام لذراعيه الحانيتين ، الرجل الوحيد الذي يحوله إلى طفل صغير .

دخل مقبرة القرية مع مجموعة من إخوته وأصدقائه ، وعند القبر توقفوا . كان القبر يتوسط قبور أعمامه السبعة. وفي لجة دموعه الغزيرة الحارقة وأشواقه المكلومة داهمته رغبة ملحة بتقبيل تراب القبر الذي مازال رطباً . وفي هذه اللحظة قال له أحد إخوته محاولا أن يكسر الصمت الثقيل الذي خيم على الجميع : لقد دفن والدك في قبر جدك ، الغريب أن الرفات التي وجدناها في القبر كانت كثيرة جداً ، يحتمل أن يكون جد جدك كان مدفوناً هنا أيضاً . عندئذ انحنى على قبر والده بخشوع وملأ قبضة يده من التراب ثم قبله بشفتين مرتجفتين وهو يقول : أرجوكم خذوني إلى قبر أحمد تراب الوطن. لم يعرف أحد من هو ذلك الشخص إلا أن أحد الحاضرين خمن بفطنة من هو المقصود فانبرى قائلاً : قبر أحمد العامري خلفك .

استدار ، فإذا به أمام شاهد قبر أحمد . لقد أدرك الآن معنى تراب الوطن ثم همس : رحم الله أحمد تراب الوطن، وبارك الله في تراب الوطن .


أقلام واعدة

من مظاهر النهضة

هناء سالم الغامدي

أَلاَ يا دَارَ فَهْدٍ حَدِّثِيْنِي ... عَنِ الأَمْجَادِ بَاتَتْ في رُبَاكِ .
وَسِيرى عَانِقي السُّحُبَ العَوَالي ... جَعَلْتُ دَمِي وَأَموَالِي فِدَاكِ .
سَأَكْتُبُ عَنْكِ مَا يَحْكِيْهِ قَلْبِيْ ... وَأَقرأُ عَنْكِ مَا كَتَبَتْ يَدَاكِ .
فَأَنْتَ مَوَاطِنُ الحَرَمَيْنِ دَوْمَاً ... مِنَ الأشرار رَبِّي قَدْ حَمَاكِ .
بِمَكَّةَ أُنْزِلَ القُرآنُ يُتْلَى ... عَلَى مَن جَاءَ يَدْعُو بالفَكَاكِ * .
أَنَارَتْ مَكَّةُ وَزَهتْ وَصَارَتْ ... بِلادَ العَالَمِيْنَ بِلاَ عِرَاكِ .
وَهَذَا خَادِمُ الحَرَمَيْنِ فَهْدُ ... بِتَوْسِعَةٍ وَ إِجْلالٍ حَبَاكِ .
رِيَاضَ المَجْدِ يَا فَخْرِي وَعِزِّي ... وَيَامَاضٍ يُوازِرُ مُبْتَغَاكِ .
سَعَى عَبْدُ العَزِيْزِ إِليْكِ فَجْراً ... وَأَضْحَى النُّورُ يَسْطَعُ في سَمَاكِ .
وَصُنْعت لَنَا مِنَ الأَمْجَادِ شِعْراً ... عَرَفْنَا مُبْتَدَاكِ وَمُنْتَهَاكِ .
وَأَصْبَحْتِ بِفَخْرٍ دَارَ عِزٍّ ... بَنَاكِ الفَهْدُ وَ المولَى رَعَاكِ .

* * * * *

عَروسَ البَحْرِ أَكْرِمْ مِنْ عَرُوسٍ ... فَمَا مِنْ خَاطِبٍ يَرْضَى سِوَاكِ .
تَنَاثَرتِ اللآلِئُ وَ الثُّرَيَّا ... وَقَالَ الكُلُّ مَا أَبْهَى سَنَاكِ .
بِلاَدِى لَنْ أَفِيْكِ اليَوْمَ حَقَّاً ... وَلَوْ أَفْنَيْتُ عُمْرِى في حِمَاكِ .
فَعُذْراً يَا حَبِيْبَةُ سَامِحْيني ... إِذَا قَصَّرْتُ يَوْمًا في رِضَاكِ .
فَلاَ وَ اللهِ لاَ أَبْغَى سِوَاكِ ... وَلَنْ أَرْضَى بَدِيْلاً عَنْ ثَرَاكِ .

* يدعو بالفكاك : من خرافات الجاهلية وأباطيلها .

حَمَاك الإله بِلادَ الكِرام

رفعت عبد الوهاب المرصفي

حمـاكِ الإلـه بـلاد الكرامْ ... وزادكِ عِـزاً بدين الخِـتَامْ
كـفَاكِ افـتخـارا بوحى الإله ... أضـاءَ الوجـودَ بخـيـر الكَلامْ
بِشْـرْعـةِ حقٍ - بطه الشـفيـع ... علـيـه الصـلاةُ وأزكى السّـلامْ

* * * * *

سـتبـقين دومـا رحـال الأمـانْ ... وواحـةَ خيـر بطول الزمـانْ
تنزلَ فـيكِ الكتـاب الكريم ... يطيبُ الفـؤادُ به واللسّـانْ
وفـوق الحـدودِ جنودٌ شِـدَادٌ ... ويا ويلَ من بالحـدودِ استـهانْ

* * * * *

سـتبـقى ربوعك عِطر الحيـاةِ ... يلفُّ مـداها شـذى الزعـفرانْ
" وأبهـا" - تموجُ بروح الجمـال ... ونفحِ الزّهور مع الأقـحوانْ
رُباها اشـتـهـاءٌ لكل الآنام ... يتوقُ إليـهـا بعـيـدٌ ودَانْ
" ونجـدٌ " - جـبـالٌ حـبـاها الإله ... بسـحرٍ يضـارعُ سِـحر الجِنَانْ

* * * * *

ويـا أرضَ مكـةَ - دُمـتِ ازدهـارا ... بخـيـرِ الأمـاكن في كل آنْ
ببـيتٍ عتـيقٍ - يضيءُ القلوبُ ... ويمـلأُ نـورا - ربـوع المكـان
تذوبُ النفـوسُ إليـه أشتـياقـا ... وتهـفـو شِغـافُ النُهى للاذان

* * * * *


استراحة بيادر

في رياض الأدب

إعداد : د . إبراهيم راشد

١ - « سبق المفرِّدون »

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَبَقَ المفرِّدون » ، قالوا : وما المفرِّدون يارسول الله ؟ قال : « الذاكرون اللّه كثيراً والذاكرات» - رواه مسلم .

وعن أبي ذرّ - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبرك بأحبِّ الكلام إلى الله ؟ إنَّ أحبَّ الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده » - رواه مسلم .

وعن أم هانئ - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« لا إله إلا الله ، لا يسبقها عملٌ ولاتترك ذنباً » - رواه ابن ماجه.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت : بلى ، يارسول الله ، قال : « لاحول ولاقوة إلا بالله » - متفق عليه .

٢ - شرف أصحاب الحديث :

كان عبد الله بن جعفر المديني - والدُ إمام - المحدثين وشيخ - البخاري وحافظ عصره: الإمام علي بن المديني (١٦١- ٢٣٤هـ) - كان يروي الحديث أيضاً ، إلا أنه كان ضعيفاً ، حتى قال فيه ابن معين : « ليس بشيء » ، وقال أبو حاتم : «منكر الحديث جداً يحدِّث عن الثقات بالمناكير » .

وذكر ابن حبان أن علياً سُئل عن أبيه ، فقال : سلوا غيري ، فأعاد عليه السائل، فأطرق ، ثم رفع رأسه ، فقال : هو الدين !

علّق الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله - وقد نقل ذلك في حاشية على مسند الإمام أحمد - بقوله : « .... ليعلم من شاء أن يعلم من أهل المعرفة بالحديث ، ومن المستشرقين المفترين على أئمة الإسلام ، ومن عبيدهم وأتباعهم في هذا العصر - قوة

علماء الحديث ، وأئمة الجرح والتعديل ، الذين اجتهدوا ما استطاعوا أنهم لم يغضوا عن تجريح والد إمام من أئمتهم الكبار ، وهو علي بن المديني شيخُ البخاري ، بل ضعّفوه بالقول الصريح ، بل إن ابنه نفسه ، لم ير من الأمانة أن يسكت عن القول بضعف أبيه، باللفظ المؤدب ، الذي ينبغي معه مراعاة حق الأبوّة ، وأبان عن عذره في الكلام فيه ، فقال : « هو الدين » ! .

٣ - الوِراقة ، وشكوى الورّاقين:

كانت الوراقة قديماً - أي نَسْخ الكتب بالأجرة - حِرْفَةً وعملاً بمنزلة المطابع في عصرنا ، فكان الناسخون - كما يقول الشيخ عبد الفتاحَ أبو غدّة - يرتزقون بالنَّسخ، ويسهِّلون على العلماء اقتناء الكتب ، وتعدّد نسخها .

وقد كان الورّاقون - كما يقول الأستاذ لطف الله قاري - يشكون من هذه المهنة الشاقة ، كما يشكو ناسخو الآلة الكاتبة اليوم .

ومن طريف ما ورد في ذلك ، ما نقله ياقوت الحموي (في معجم الأدباء) في ترجمة الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن أحمد البغدادي - المعروف بابن الخاضبة (-٤٨٩هـ) أنه حكى عن نفسه ، قال :

« لمّا كانت سنة الغرق - سنة ٤٦٦هـ في بغداد - وقعت داري على قماشي وكتبي ، ولم يكن لي شيء ! وكانت عندي عائلة : الوالدة والزوجة والبنات ، فكنت أنسخ وأنفق عليهنّ ، فأعرف أني كتبت « صحيح مسلم » في تلك السنة سبع مرات! فلما كانت ليلة من الليالي رأيت - في النوم - كأن القيامة قامت ، ومنادٍ ينادي : أين ابن الخاضبة ؟ فأحضرت ، فقيل لي : ادخل الجنة ، فلما دخلت الباب ، وصرت من الداخل استلقيت على قفاي ، ووضعت إحدى رجليَّ على الأخرى وقلت : آه ، استرحت - والله - من النَّسْخ !!».

٤ - شكوى أبي حيّان التوحيدي :

كان أبو حيّان التوحيدي (-٤١٤هـ) كثير الشكوى من الناس والزمان، ناقماً على أهل عصره ، يعدّ نفسه غريباً بينهم . وفي صدر كتاب (الهوامل والشوامل) - وهو عبارة عن أسئلة من أبي حيّان سماها (الهوامل) ، وأجوبة من أبي علي أحمد بن محمد المعروف بـ (مسْكَوَيْه) (-٤٢١هـ) سماها (الشوامل) - نجد مسكويه يقرّع أبا حيان على شكواه ، فيقول :

« قرأت مسائلكَ التي سألتني أجوبتها في رسالتك التي بدأت بها فشكوت فيها الزمان ، واستبطأت بها الإخوان ، فوجدتك تشكو الداء القديم ، والمرضَ العقيم . فانظر - حفظك الله - إلى كثرة الباكين حولك وتأسٍّ ، أو إلى الصابرين معك وتَسَلٍّ ، فلعمر أبيك إنما تشكو إلى شاكٍ ، وتبكي على باك (على هنا بمعنى : عند) ، ففي كل حَلْق شجى ، وفي كل عين قذى ، وكلُّ أحدٍ يلتمس من أخيه مالايجده أبداً عنده . ولو كان حدّ الصديق مارسمه الحكماء حين قالوا : صديقُك آخرُ هو أنت إلا أنه غيرُك بالشخص- فهيهات منه ، إني لأظنّ الأبلق العَقُوقَ ، والعنقاءَ المُغْرِبَ ، والكبريتَ الأحمر أيْسَرَ مطلباً وأقربَ وجوداً منه .

وبعد ، فإني أرى لك إذا أحببت معايشةَ الناس ومخالطتَهم ، وآثرت لذة العمر وطيبَ الحياة ، أن تسامح أخاك ، وتغالطَ فيه نفسك ، حتى تُغْضيَ له عن كلِّ حق لك ، وترى له عليك مالايراه لنفسه ، وأن تأخذ بأدب بشّار ؛ فإنه نعم الأدب ، (يريد أبياته المشهورة :

إذا كنتَ في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تَلْقَ الذي لا تعاتبُهْ
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه ... مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبُهْ
إذا أنت لم تَشْرَبْ مراراً على القذى ... ظمئتَ ، وأي الناس تصفو مشاربُهْ ؟)

وموعظة النابغة ؛ فنعمت الموعظة . (يريد قول النابغة :

ولستَ بِمسُتَبْقٍ أخاً لاتَلُمُّه ... على شعثٍ ، أي الرجال المهذّب ؟)

ولا تعوِّد عشيرك وجليسَك استماعِ شكواك ، فيأنسَ به ، ثم لا يُشْكِيك ، ولاتُكْثِرْ عليه من العَتْب ، فيألفَه ، ثم لا يُعْتِبُكَ .... ومن عرف طبع الزمان وأهله ، وشيمة الدهر وبنيه ، لم يطمع في المحال ، ولم يتعرَّض للممتنع، ولم ينتظر الصفو من معدن الكدر ، ولم يطلب النعيم في دار المحنة .... استعذ بالله من الشيطان ووساوسه ، ومن دنس الجهل ومُلابِسِه ، واسْتَعِنْ بالله يُعِنْكَ ، واستكفه يكفك ، ولا قوة إلا به » .

٥ - طرفة بين أديبين :

ذكر المحبي (-١١١١هـ) في كتابه (نفحة الريحانة) أن بعض الأدباء استعار من آخر مجموعاً ، ومطله به ، ثم اجتمعا في مجلسٍ بعد تراخٍ (طول مدة) ، فقال المستعير : إنِّي متشوِّق إليك ، وقلبي عندك .

فقال الآخر : وأنا متشوق إليك ، ومجموعي عندك .

٦ - تغاير الذات والموضوع واحد :

لمحة ذوقية أخرى ، قدّمها الشاعر الناقد إبراهيم العريّض في كتابه « نظرات جديدة في الفن الشعري » - من خلال موازنة بين قطعتين (أوردهما القالي في أماليه) موضوعهما واحد ، لشاعريْن تعرّضت لكلٍّ منهما في شيخوخته بعد غياب طويل صاحبته التي كان عهده بها قديماً ريّانة الشباب مثله تسأله : أما أنت فلان ؟ لقد أكل الدهر عليك وشرب ! والطرافة في الجواب :

- قال حسّان بن الغدير :

قالتْ أمامةُ يوم بُرْقَةِ واسطٍ ... يابْنَ الغَدير لقد جَعَلْتَ تنكَّرُ
أصبحْتَ بعد شبابك الغضِّ الذي ... ولّتْ شبيبتُه وغُصنُكَ أخضرُ
شيخاً دعامتُكَ العصا ومُشَيَّعاً ... لاتبتغي خبراً ولا تُسْتَخْبَرُ
فأجبتُها أنْ منْ يُعَمَّرْ يَعْتَرِفْ ... ما تزعمين ويَنْبُ عنه المنظر
ولقد رأيتُ شَبيبةَ ما عيَّرْتني ... يَسْري عليَّ به الزمانُ ويُبْكِرُ
وجعلْتُ يُغْضِبُني اليسيرُ ومَلَّني ... أهلي وكنتُ مكرَّماً لا أكْهَرُ
وشَرِبْتُ في القَّعْبِ الصغير وقادني ... نحوَ الجماعةِ من بَنِيَّ الأصغرُ

- وقال حكيم بن عكرمة :

تقولُ بثينةُ إذْ أنكَرَتْ ... قُنُوءاً من الشَّعَرِ الأحمرِ
برأسي : كَبِرْتَ وأودَى الشبابُ ... فقلت مجيباً لها : أقْصِري
أما كنت أبصرْتِني مَرَّةً ... ليالِيَ نحن بذي جَوْهر
ليالي أنتم لنا جيرةٌ ... ألا تذكرين ! بلى فاذكري
وإذ أنا أغْيَدُ غَضُّ الشبابِ ... أجُرُّ الرِّداءَ مع المئْزَرِ
وإذ لِمَّتي كجَنَاحِ الغُرابِ ... تُرَجَّل بالمسك والعنبرِ
فغيَّر ذلك ما تعلمين ... تَغَيُّر ذا الزمن المُنْكَرِ
وأنت كلؤلؤة المرزُبانِ ... بماءِ شبابكِ لم يُعْصَرِ
وقد كان مِضْمَارُنا واحداً ... فإنيّ كَبِرْتُ ولم تكبري

- وقال الأستاذ العريِّض :

« .. أما الأول ، فأساء إلى نفسه وإلى صاحبته بهذا الاسترسال في تعداد مصائبه في موقف يقتضي الدماثة وطيب الحديث ، ثم ما كفاه ذلك حتى تبرّم لها وكأنه يقول : وأنتِ كبرتِ أيضاً وتغيَّرت - ما دام هو يعدّ تنويهَها بسنِّه تعييراً .

بينما أحسن الثاني إلى نفسه ، وإلى صاحبته بهذا التلفّت إلى ذكريات الشباب، وكيف كان زهوها بها . وأجاد ما شاء بهذا الختام الذي هو المسك ، فكأنه يقول لها : «وسبحان من حفظ لكِ الشباب» !

٧ - نقدات ساخرة :

* ذكر المرزباني في « الموشح » أن رجلاً جاء إلى خلف الأحمر ، فقال : إني قد قلت شعراً أحببت أن أعرضه عليك لتصدقني عنه ، قال : هات ، فأنشده :

رقد النَّوى حتى إذا انتبه الهـوى ... بعث النَّوى بالبين والترحال

ماللنَّوى، جُدَّ النوى ، قُطِعِ النَّـوى ... بالوصل بين ميامن وشمال

فقال له خلف : دَعْ قولي ، واحذر الشاة ، فوالله لئن ظفرتْ بهذا البيت لتجعلنَّه بعراً ! على أني ماظننتُ بك هذا كلّه !

* وذكر أيضاً أن رجلاً أنشد خلفاً شعراً له ، فقال له خلف :

ماترك الشيطان أحداً بهذا البلد إلا وقد عرض عليه هذا الشعر ، فما وجد أحداً يقبله غيرك .

* وأنشده أبو عبيدة شعراً له ، فقال له :

يا أبا عبيدة ، اخبأ هذا كما تخبأ السِّنَّوْر حاجتها.

* وفي الأغاني ، أن الأصمعي لما أنْشِد قول توبة بن الحميِّر :

عليّ دماءُ البُـدْن إن كـان بعلُهـا ... يـرى لـي ذنبـاً غيرَ أنِّي أزورهـا

وأنِّي إذا مازرتُها قلت: يا اسلمي ... وماكان في قولي « اسلمي» ما يضيرها

قال الأصمعي : « شكوى مظلومٍ ، وفعل ظالم » .

٨ - قصة للصغار . . وللكبار أيضاً :

كان زعيم جماعة من القرود يسير في طريق فوق جبل، عندما اصطدمت رجله بحجر، فسقط ، فسقط خلفه كل تابعيه تقليداً له ، إلا قرداً واحداً ظل واقفاً . وفي

الحال، انهال بقية القرود على ذلك القرد ضرباً وقرصاً ، وهم يقولون له :

هل تَعُدُّ نفسَك أفضل من الزعيم ، فلا تقع كما وقع ؟ !

قال الحكيم الشيخ لتلميذه الفتى - وقد روى له هذه القصة- :

« إنّ من تَعوّدوا الخضوع والتبعية ، يصبحون أعدى أعداء من يتمتعون باستقلال الرأي ، وقوة الشخصية » .

٩ - من نوادر أصحاب الحديث :

كان سليمان بن مهران الملقب بالأعمش (٦١ - ١٤٨هـ) - كما يقول الخطيب البغدادي - بخيلاً بالحديث ، عَسِراً في الرواية ، وكان مع ذلك ثقةً في حديثه ، عدلاً في روايته ، ضابطاً لما سمعه ، متقناً لما حفظه . فرحل الناس إليه ، وتهافتوا في السماع عليه. لكلِّ ذلك احتال أحد تلامذته بحيلة طريفة ليكتب عنه أكثر ما يمكنه:

روى الخطيب بسنده عن عيسى بن يونس ، قال :

خرجنا في جنازة ، ورجل من أصحاب الحديث يقود الأعمش ، فلما رجعنا من الجنازة ، عدل به عن الطريق ، فلما أصحر (أي : أفضى به إلى الصحراء) قال له : يا أبا محمد (وهي كنية الأعمش) ، أتدري أين أنت ؟ أنت في جَبّانة كذا. لا والله لاأردُّكَ حتى تملأ ألواحي حديثاً . قال : اكتب ، فلمّا ملأ الألواح ، وضعها في حجره، وأخذ بيد الأعمش يقوده . فلما دخل الكوفة ، لقيه بعض معارفه ، فدفع الألواح إليه، فلمّا انتهى الأعمش إلى بابه ، تعلّق به ، وقال : خذوا الألواح من الفاسق . قال : يا أبا محمد، قد فاتت . فلمّا أيس منه ، قال : كلُّ ما حدثتُك كذب . قال الفتى : أنت أعلم بالله من أن تكذبَ .

١٠ - عود إلى الشعر :

أ - من بارع شعر أبي تمام :

قال في مدح المأمون :

خاب امرؤٌ نَحسَ الزمانُ بِسَعْيِهِ   فأقام عنك وأنت سَعْدُ الأسْعُدِ

ذاك الذي قَرِحَتْ بطونُ جفونــه   مَرَهًا وتربـة أرضـهِ من إثْمـدِ

ب - من شعر الأعراب :

- قال أعرابي :

إذا متّ فابكيني بشنتينْ لايُقَـــلْ: كذبْتِ ، وشرّ الباكيات كذوبُهـا
بعفَّــةِ نفــسٍ حـين يُذكَـر مطمـع وعزَّتها إن كان أمـرٌ يريبُهـــا
فإن قلتِ : سمْحٌ بالندى، لم تكذّبي فأما تُقَى نفسي فربِّي حسيبُها

- وروى أبو حيان التوحيدي في (البصائر والذخائر) لمن سماه : حبيب بن خدرة:

ألا حبَّذا عصرُ اللِّـوى وزمانُــــهُ إذ الـدهـرُ سَلْمٌ والجميعُ حُلُـولُ
وإذ للصِّبَا حوضٌ من اللهو مُتْــرَعٌ لنــا عَـلَلٌ مـن وِرْدِهِ ونُهـــُولُ
وإذ نحن لم يَعْـرِضْ لألفـةِ بينـنــا تناءٍ ، ولا ملٌّ الوصــالَ ملـولُ

جـ - من أراجيز العرب :

قال أبو النجم العجلي في أرجوزة له :

والمرءُ كـــــالحــــالم فـي المنامِ
يـقــــول : إنِّي مــــدركٌ أمـــامي
في قــابل مـــافـــاتني في العـــام
والمرء يُدْنيــــه من الحِـــمـــام
مــــرُّ الليـــالي الســـود والأيام
إن الفـــتى يـصـــبح للأســـقـــام
كـــالغـــرض المنصـــوب للسِّــهـــام
أخـطـأ رامٍ ، وأصــــــاب رامِ

د - من نفيس شعر المحدثين :

قصيدة « بلبل» للشاعر الكبير عمر أبي ريشة ، التي بناها على عبارة الجاحظ: « البلبل لاينسل في قفص» - قال :

حُلُمٌ تخلّى عنـه في رَغْـدِهِ هـل يَـقْـدِرُ النّـوحُ على رَدِّهِ ؟

لو يَعْلَمُ الصيَّـادُ ما صَيْدُهُ　　　لـم يَجْعَلِ البلبـلَ في صيـده !

***

ألفَيْتُه يَنْثُـرُ ألحـانَـهُ　　　كأنمـا يَنْثُـرُ مـن كِبْـدِهِ

وإلْفُهُ المشفـقُ ظِـلٌّ لـه　　　باقٍ ، كما كان ، على عهـده

مُدَلَّهُ اللفتاتِ مُسْتَوْحِـشٌ　　　طـاوٍ جنـاحَيْـه على وَجْـدِهِ

كم أطبقتْ منقارَهُ غُصَّـةٌ　　　فَـمَـدَّه ينـقـر فـي قيـده

أسْقَمه العَيْشُ على وَفْـرِهِ　　　لمّـا رآه ليـس مـن كَـدِّهِ

وأين مُخْضَلُّ الجنى حَوْلَهُ　　　من زنبـق الروضِ ومـن وَرْدِهِ ؟

***

طوى المُنى نَوْحاً ولكنَّما　　　لم يُغْنِـهِ النَّوْحُ ولـم يُجْـدِهِ

فعاف دنياه ولم يتّخـذْ　　　عُشّاً ولم يحملْ سوى زهـده

كأنه من طول مامَضَّـهُ　　　من عَبَثِ الدهر ومن كيـده

أبَى عليه الكبْرُ أن يـورث الأفـراخ ذلَّ القيـد مـن بَعْـدِهِ

١١ - كلمات :

* يحتاج طالب العلم إلى ستة أشياء حتى يكون فيلسوفاً ، فإن نقصت لم يتم: ذهن بارع ، وعشق لازم ، وصبر جميل ، وروعٌ خالٍ ، وفاتح مُفْهم ، ومدة طويلة. (الكندي)

* ليس النبوغ إلا صبراً طويلاً . (الكاتب الفرنسي بيفون)

* لاينبغي للمؤلف أن يصطلح مع نفسه في كتابه بما لايفهمه غيرُه ، فيوقع غيرَه في حيرة . (ابن الصلاح)

* إنك لاتستطيع أن تمنع طيور الأسى أن تحلق فوق رأسك ، ولكنك تستطيع أن تمنعها أن تعشّشَ في شعرك . (مثل صيني)

* ليس لمنقوص البيان بهاء ، ولو حكّ بيافوخه أعنان السماء . (يونس بن حبيب)

* الشعر كالسراء ، والشجاعة ، والجمال لاينتهى منه إلى غاية . (يونس بن حبيب)

* إن امرءاً ذهبت ساعة من عمره في غير ماخلق له ، لخليق أن تطول عليها حسرتهُ. (الحجاج)

١٢- مسك الختام :

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »

- روى أبو داود في سننه * بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو :

« ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ ، وانصرني ولاتَنْصُرْ عليّ ، وامكرلي ولاتمكرْ عليَّ، واهدني ويَسِّرْ هدايَ إليّ ، وانصرني على من بغى عليّ .

اللهم اجعلني لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك راهباً ، لك مِطْواعاً ، إليك مُخْبتاً ، أو مُنِيباً .

ربِّ تقبّل توبتي ، واغسلْ حَوبَتي ، وأجبْ دعوتي ، وثَبِّتْ حُجَّتي ، واهد قلبي ، وسَدِّد لساني ، واسْلُلْ سخيمة قلبي "

* وأخرجه الترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد .

بين بيادر وقرائها

من ملف بيادر الثقافي الإبداعي

الصادر في شعبان ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

بقلم : ناقد

(٢)

قضية ورأى

يتعلق الموضوعان بقضية البيئة ؛ فالأول يلقى الضوء عليها بين الاهتمام العالمى ورعاية الإسلام لها ، والثانى عن أهمية البيئة فى حياة الإنسان .

* فاما الموضوع الأول ، فإن الكاتب لم يتَّبع ما ينبغي أن يكون من وضع الأرقام بعد نهاية كل نص منقول ؛ ومن ثم : لايستطيع القارىء الاهتداء إلى مصدر النص الذى يريد الاستيثاق من صحة نسبته إلى صاحبه .

ومما يؤخذ علي الطباعة أن الفِقَرَ تتداخل تداخلاً يجعل القارىء يشعر بالارتباك حين يريد الانتقال من فِقرة إلى أخرى ؛ فلو أن كل فقرة جديدة بدأت فى سطر جديد لاتسم المقال بحسن التنسيق ، وخاصةً الفقراتِ المهمة . وعسى أن يراجع الكاتب هذا الأمر .

- صـ ٨٣ س ١٠ : « مما لايختلف عليه فى استغلال الموارد الطبيعية والمبالغة في العادات الاستهلاكية ... » العبارة غير مستقيمة المعنى ، ولعل جعلها هكذا أوضح فى المعنى : ومما لايُختلف عليه فى استغلال الموارد الطبيعية أن المبالغة ... »

- وفى الصفحة نفسها س ٣ من أسفل « يجدر بنا كمسلمين » ، صحتها : يجدر بنا- بوصفنا مسلمين ، أو نحن المسلمين - لأن الكاف توقع القارىء فى فهم ربما لم يقصده الكاتب ، ولكنه وارد عند من يعرف المشبَّه والمشبه به ووجه الشبه ، فما العلاقة بين «نا» المشَبَّة و(مسلمين) المشبه به ؟

- صـ ٨٤ س ١١ . ١٢ : أن له تأثير ضار فيعدل أو يلغي ، صحتها أن له تأثيرا ضاراً ،لأن تأثيراً اسم أن ، ولأن الجملة شرطية ، وجواب الشرط إما أن يقترن بالفاء ، فيقال : فإنه يعدل أو يلغى ، وإما ألا يقترن ، فيقال : عُدِّلَ أو ألغي .

وأما المقال الثاني فأهم ما يَلْفِت النظر فيه :

- صـ ٨٧ س١٠« التقدم التِّقَنيّ » ما ذا تعنى التقنى ؟ وهل هى وافية بالمراد ؟ أولى منها : الصناعي ؟! فكلمة te chnical المأخوذةُ منها كلمة (التِّقَنِيّ) تعنى: الصناعى .

- في حديث الكاتب عن البيئة فى الإسلام اختصار دُعِّمَ بكلام (جورباتشوف) وكان أولى بالكاتب أن يستشهد ببعض الآيات والأحاديث التى تلفت النظر إلى الاهتمام بالبيئة ، ونكتفي هنا بحديث الفسيلة المشهور .

- صـ ٨٧ فى السطرين الأخيرين : ليس واضح يبدأ من الفعل تستطيع أن تلبى... » : فما هذه التى تستطيع أن تلبى ؟ لعل الكاتب يقصد أن المواجهة والمعالجة هى التى تستطيع ؛ ولذلك يمكن أن يُقال : وتستطيع هذه المعالجة أن تلبى ....

والمهم أن المقالين دعوة صريحة إلى التفاعل مع البيئة والتفاعل معها من منطلق تعلم الإنسان الحرصَ على النافع ، وتدعوه إلي أن يكون إنساناً جديراً بالاستخلاف على هذه الأرض .

الشعر

حَنين — محمد حسن العمرى

القصيدة طويلة النَّفَس ، وهى تدل علي حنين دافق إلي الصفاء ، والصدق ، ورفض واثق لمغريات العصر التى تصرف المرء عن معالي الأمور، وتجعله يلهث وراء سراب التقدم الخادع ، وصاحبها شاعر متمرِّس بالحياة ، صاحب خبرة طويلة بتقلبات الأيام ، لكنه يحمل روحاً شفافاً ، وتَوْقاً طاهراً إلى سلام الحياة ، ولايملِك فى ذلك إلا الشعر .

وفى القصيدة - علي طولها - بعض الهَنَوَات - أو الهَنات - نشير إلى أهمها:

- وقوع الطَّيِّ فى(مستفعلن) أيا كان موقعها من البيت يشعر باضطراب نَغْمِيّ. ومع أن الطى زَحَافٌ يمكن مجيئه ، يصبح في بيت البسيط - الذى منه القصيدة شيئاً من عدم تناسق اللحن ، وذلك فى الشطر الأول من البيت الأول « مفترق » وفى أول تفعيلة من السادس «ثم تعود » .

- البيت ١١ من عمله الورق لعله : من عملة الْوَرِق

- البيت ١٥ « والصَّخَب » إشباع الباء يوقع فى مخالفة صوتية ، وعدمُ الإشباع يوقع فى خطأ عروضى ، ويمكن تجنب الأمرين بأن يقال :

مالى وللعيش فى ضوضاء صاخبةٍ

- طَوَّلْتُ بالى على جَلاَبةِ الزَّهَقِ ، تعبير يَمُتُّ إلى العامِّيَة بصلة وثقى ؛ وما المقصود من جلابة الزهق ؟ أهي الحضارة أم ماذا ؟

- البيت ١٩ القمر .. صوابها : قمراً ؛ لِماَ مَرَّ فى البيت ١٥، وعلام ضُبِطَتْ القاف بالسكون مع أن القافية مكسورة ؟

- البيت ٢٣ حيرت صحتها : حيزت

- البيت ٤٥ من شمى من شيمى

غشقة عطر

لعلي حسن الشهراني

لعل الصواب: نَشْقَةُ عطر

البيت « ٤ » سروري وارتياح . لماذا لم يقل: أو ارتياحى ؟

والقصيدة ـ كسابقتها ـ يعود الشاعر من خلالها إلى مواطن ذكرياته فى (خميس مشيط)، ويربط ذلك ، فى فتنة عالية. بنزوله (أبها) . وبين (أبها) و «الخميس» تتداعى المعانى : دقةُ وصف لجمال الطبيعة.. وسدادُ مدحٍ للامير خالد الفيصل ، واعتزازٌ بالغ بهذه المناطق.

وتكاد القصيدة - على جمالها- تذكِّرنا برائعة جرير التى فيها :

السْتم خيرَ من ركب المطايا ... واندى العالمين بطونَ راحِ

موطن الحسن ثريا سعد سلطان العمرى

- البيت ٥ تآخانوره صحتها : تآخى نوره

البيت ٦ مَنْ أبزرها. بناء الفعل أبْزَرَ غير موجود بهذه الصيغة ، والذى نص عليه اللسان : بذَّرها بمعنى : زرعها.

والحقيقة ان القصيدة تدل على تمكنٍ من ناحية الشعر، وتشيرإلى براعة المدح فيها ، كما ان العنوان مخادع، وهذا مما يُحمد للشاعرة ؛ إذْ في لغة النظر، والدفعِ إلى التفكير فى موطن الحسن آيةُ صدْقٍ فنى.

كما أنها تنهض دليلا قاطعا على ان لافرق بين الرجال والنساء فى الإبداع الادبى؛ فليس هناك ـ وهذه القصيدة امامنا ـ ما يسمى بالادب النسائى .

دور المملكة فى نُصْرة العالم الاسلامى.

قصيدتنهج نهج البردة وزنا وقافية، غير انها تَسلك في سبيل مدح آل سعود طريق الحديث عن أن الإسلام بعموم، ولاينقصها إلا فورة العاطفة المتأججة التى كان ينبغى ان يستثمر الشاعر استخدامها فى موطن كهذا ، كما أن بها بعضَ الهَنات ـ اهمها:

فى البيت رقم ١٧ : كل خَصَّامٍ ـ أهى صحيحة أن تصاغ صيغة فعَّال من الخصام ؟

فى البيت رقم ١٩ من يغصّ ـ علام خُذفت النون ، والفعل مرفوع؟

القصة

البيت العتيق - لقدور بن مُرَّيْسِي

قـصـة قـصـيـرة تحـتـاج الى شيء من تكثـيـف لخطة الحـدث وتوزيع الحـوار بين الشخوص، وهذا ما نحسب ان القاصّ قد اقترب منه، غير انه وقع فى المباشرة حين قال على لسان الشيخ فى آخر القصة:

«يجب عليكم ان تغرسوا اشجار الزيتون فى كل مكان» . ثم ما المقصود بعنوان القصة، وهى تكاد تنصرف إلى الحديث عما اعترى الصغار من توجس اصطنعوه إزاء اليهودى ، فالعنوان غير دقيق ، او لايتواءم مع مضمون القصة.

وفيها - بالإضافه إلى ذلك - بعض الاخطاء غير المقصودة مثل :

ص ١٠٠ س٥ من اسفل : سناك إنى - سَنًا كأنى

ص ١٠١ س١ : اليهودى عِزْرًا - يراجع ضبط اسم اليهودى.

ولعله عِذْرا او إِلْيَعَازِرْ أو عُزَيْر ، مثلا.

لازلت احلم - لممدوح عبدالجبار البوصيلى .

تتسم القـصـة بشـاعـرية رفـافـة وبقدرة على تحليل النفس البشـرية فى صراعـاتهـا وتطلعـاتهـا ، وخاصـة بين بطل القصة واخيـه ، والحوار فـيـهـا يتـعـانق مع السرد ، بحيث يؤدى كل منهـمـا إلى انفراج ويساعـد فى الوصول إلى الحل . وإن كـان القـاصُّ ختـمـهـا ختاما بارعا كـاثما يعيد التـأمل من جديد لما يحدث له ولاخيه مما ترتب على إخبار العم الاخَ الاكبَر بان ابنته خطبت وستتزوج.

فهى - في تقديرنا - احسن قصة فى العدد كله ، لان فيـهـا وسائلَ التكثيف من ناحيـة، والتـحليلَ الجيـدَ من ناحيـة اخرى، وهمـا عنصران فى القصـة القصـيـرة لايتـمكن منهما إلا كاتب فنّان.

الشجرة الساجدة : لمحمد على وهبه

لاباس بها . وان كان ينقصها إجراء الحوار على لسان الشجرة وليس على لسان الشاب، ومحاولةُ متابعة الشجرة اخبارَ هذا الشاب بعد ان تركها لكى يكون للشجرة نفسها دور فى الاحداث...

الاستراحة . .

اختير للاستراحة عنوان آخر ، وهو (فى رياض الادب). ونقف فى هذه الاستراحة عند الملاحظات الآتية:

١- لم يُخَرَّجْ الدعاء النبوى الذى جُعِل استهلالا .

٢ - تحتاج (ظاهرةُ في تاريخ الثقافة الإسلامية) إلي إعادة صياغة ، بما يجعلها مناسبة لوقوعها في رياض الأدب .

٥ - من الجوابات المُسكِنَة: هل اسمُ الكتاب الذى ألفه التنوخى «نشوار المحاضرة » ؟

٧ - فى التشبيهات النادرة - يتواثب الأطفال حولها كالسمك ..حول أى شيء يتواثب الأطفال ؟

٨ - أ - من رقيق شعر ذى الرُّمّة فى قوله :

فإن لايكن إلا (التعلُّلَ) ساعة .. قليلاً ، فإنى نافع لى قَليلُها

لِمَ ضُبِطتَ التعللَ بالنصب ؟ وأين اسمُ (كان) حينئذ ؟ و(قليلا) منصوبة هى الأخرى ، فعَلاَمَ ؟ وعلام جُرَّتْ « ساعةٍ »؟

لعل صحة البيت هكذا :

فإن لايكن إلا تَعَلُّلُ ساعةٍ ....

أقلام واعدة . . . .

الجدار: قصة لسعيد عوض القحطاني ؟

تكاد تتشابه مع قصة - لازلت أحلُم - فى إحكام البناء وسلامة اللغة لولا كلمة - العزوبية ص ١٢٢ س ٢ وص ١٢٤ س ٧ من اسفل وصحتها : العزوبة ، كما أن الجمل الاعتراضية أو التفسير الواقع بين قوسين ، قد يفسد علي القارىء المتعة بتتابع الأحداث ويُعَمِّى عليه ما يجب أن يظفر هو به بنفسه لابمساعدة الكاتب .

أبها - قصيدة ليعقوب على إبراهيم

تقترب كثيرا من قصيدة : على حسن الشهرانى ففيها معان جيدة ودقة وصف لهذه المدينة الجميلة، مما يضفى على الشاعر وقصيدته براعةَ صياغةٍ وحُسَنَ تعليل ، غير أن فيها بعضَ الملاحظات - مثل : البيت ٦ - معناه جيد ، ولكن كلمة « بانت» تكدر شيئاً من صفاء هذا المعنى . فهل يعنى الشاعر ، أنها بَعُدَتْ فوق كل بيان ، إن كان يعنى ذلك فمن الممكن أن يقول - أبداً تسامَتْ - أو أبدا لصارت .

البيت ٧ أثينُ جُمان - الأثين : الأصيل - غير أن الكلمة لاتكاد تستعمل فى لغة الأدب ، ونرى أن المدح البليغ يصاغ من عقود الجمان لامن أثين الجمان .

البيت ١٤ الإفْتان - صحيح أن الإفْتَان مصدر من أفْتَنَ ، وهو محل تجويز من علماء اللغة، لكن الأفصح : فَتَنَ .

يامصحفى - لرفعت عبدالوهّاب المُرصَفِىّ

نرى أنها تصلح نشيدا للصباح فى مدرسة متوسطة ، فأفكارها وألفاظها وبناؤها الموسيقى يتناسب مع سن التلاميذ فى هذه المرحلة التعليمية .



أرض الحرم - لأحمد محمد إبراهيم مباركى

هى كقصيدة (دَوْرُ المملكة) السابقة وإن كانت تمتاز بسرعة الاختصار وحسن المطلع . وليس لنا من تعليق إلا الوقوفُ أمامَ ما يأتى :

البيت ٣ ينتعم. المشهور يتنعّم ، فمن أين أتى الشاعر بهذه الصيغة ؟

هل ورد بذاكرته ما أحدثه جبران من ضجة لغوية حين قال فى قصيدة المواكب :

من آكل بنعيم الخُلدْ مُبْتَشِرُ، ومن جهول يخاف النارَ تَسْتَعِرُ

وقيل ما قيل وقتها عن « مبتشرُ » هذه .

البيت ٤ ، وحكمها من كتاب الله يحتكم ،

لعل الصواب ، وحكمها كتاب الله -

البيت ١٠ جاء المضارع : (تشهدْ) « مُسَكَّناً بلا داعٍ اللهمّ إلا ضرورة الوزن ، ويمكن أن يستبدل به « تَدَلَّى » .


دار
للطباعة والنشر
جدة
تليفون ٦٧٠٠٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم